١٨/٢٤٤ / وقال شيخ الإسلام ـ رَحِمهُ اللّه :

بسم اللّه الرحمن الرحيم

الحمد للّه المستوجب لصفات المدح والكمال، المستحق للحمد على كل حال، لا يحصى أحد ثناءً عليه، بل هو كما أثنى على نفسه بأكمل الثناء وأحسن المقال، فهو المنعم على العباد بالخلق، وبإرسال الرسل إليهم، وبهداية المؤمنين منهم لصالح الأعمال. وهو المتفضل عليهم بالعفو عنهم، وبالثواب الدائم، بلا انقطاع ولا زوال. له الحمد فى الأولى والآخرة، حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، متصلا بلا انفصال.

وأشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، عالم الغيب والشهادة الكبير المتعال.

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، الذى هدى به من الضلال، وأمر المؤمنين بالمعروف، ونهاهم عن المنكر، وأحل لهم الطيبات، وحرم عليهم الخبائث، ووضع عنهم الآصار والأغلال، فصلى اللّه عليه وعلى آله خير/ آل ، وعلى أصحابه الذين كانوا نصرة للدين، ١٨/٢٤٥
حتى ظهر الحق وانطمست أعلام الضلال.

أما بعد: فإن اللّه تعالى خلق الخلق لما شاء من حكمته، وأسبغ عليهم ما لا يحصونه من نعمته، وكَرَّمَ بنى آدم بأصناف كرامته، وخص عباده المؤمنين باصطفائه وهدايته، وجعل أمة محمد ﷺ خير أمة أخرجت للناس من بَرِيَّته. وبعث فيهم رسولا من أنفسهم، يعلمون صدقه وأمانته وجميل سيرته، يتلو عليهم آياته؛ ليخرجهم من ظلمة الكفر وحيرته، ويهديهم إلى صراط مستقيم، ويدعوهم إلى عبادته.

وأنزل عليهم أفضل كتاب أنزله إلى خليقته، وجعله آية باقية إلى قيام ساعته، معجزة باهرة مُبْدِية عن حجته، وبينة[1] ظاهرة موضحة لدعوته، يهدى به اللّه من اتبع رضوانه سبل السلام، ويخرجهم من الظلمات إلى النور بإذنه، ويدلهم على طريق جنته. فالسعيد من اعتصم بكتاب اللّه، واتبع الرسول فى سنته وشريعته. والمهتدى بمناره، المقْتَفِى لآثاره هو أفضل الخلق فى دنياه وآخرته، والمحيى لشىء من سنته له أجرها وأجر من عمل بها من غير نقصان فى أجر طاعته، فإن اللّه لا يظلم مثقال ذرة، بل يضاعف الحسنات بفضله ورحمته.

١٨/٢٤٦ / وإحياء سنته يشمل أنواعا من البر لسعة فضل اللّه وكرامته، فيكون بالتبليغ لها والبيان لأجل ظهور الحق ونصرته، ويكون بالإعانة عليها بإنفاق المال والجهاد؛ إعانة على دين اللّه

---

(١) فى المطبوعة: «وبينته» والصواب ما أثبتناه.

وعلو كلمته، فالجهاد بالمال مقرون بالجهاد بالنفس، قد ذكره الله تعالى قبله ـ وفى غير موضع ـ لعظم منزلته وثمرته، وقد قال النبى ﷺ: «من جهز غازياً فقد غزا، ومن خَلَفَهُ فى أهله بخير فقد غزا»[1] وقال: «من فطر صائما فله مثل أجره»[2] ومثوبته، لا سيما ما يبقى نفعه بعد موت الإنسان ومصيره إلى تربته، كما قال فى الحديث: «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث»[3]، فهذه الثلاث هى من أعماله الباقية بعد ميتته، بخلاف ما ينفعه بعد موته من أعمال غيره من الدعاء والصدقة والعتق؛ فإن ذلك ليس من سعيه، بل من سَعْيِ غيره وشفاعته، وكما يلحق بالمؤمن من يدخله الله الجنة من ذريته.

وأصل العمل الصالح هو إخلاص العبد لله فى نيته، فإنه ـ سبحانه ـ إنما أنزل الكتب، وأرسل الرسل، وخلق الخلق لعبادته، وهى دعوة الرسل لكافة بريته، كما ذكر ذلك فى كتابه على ألسنة رسله بأوضح دلالته؛ ولهذا كان السلف يستحبون أن يفتتحوا مجالسهم وكتبهم وغير ذلك بحديث: «إنما الأعمال بالنيات» فى أول الأمر وبدايته فنجرى فى ذلك على منهاجهم؛ إذ كانوا أفضل جيش الإسلام ومقدمته، فنقول/ـ مستعينين بالله على سلوك ١٨/٢٤٧
سبيل أهل ولايته وأحبته ـ:

عن يحيى بن سعيد الأنصارى، عن محمد بن إبراهيم التَّيْمِى، عن علقمة بن وَقَّاص الليثى، عن عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته إلى دنيا يصيبها أو امرأة يتزوجها فهجرته إلى ما هاجر إليه»[4].

هذا حديث صحيح متفق على صحته، تَلَقَّتْه الأمة بالقبول والتصديق، مع أنه من غرائب الصحيح؛ فإنه، وإن كان قد روى عن النبى ﷺ من طرق متعددة، كما جمعها ابن مَنْدَه وغيره من الحفاظ، فأهل الحديث متفقون على أنه لا يصح منها إلا من طريق عمر بن الخطاب ـ رضى الله عنه ـ هذه المذكورة، ولم يروه عنه إلا علقمة بن وقاص الليثى، ولا

---

(١) البخارى فى الجهاد (٢٨٤٣) ، ومسلم فى الإمارة (١٨٩٥/ ١٣٥)، وأبو داود فى الجهاد (٢٥٠٩)، والترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٢٩)، وقال: «هذا حديث حسن»، كلهم عن زيد بن خالد.

(٢) الترمذى فى الصوم (٨٠٧) وقال: «هذا حديث حسن صحيح» ، وابن ماجه فى الصيام (١٧٤٦)، والدارمى فى الصيام ٢/ ٧، وأحمد ٤/ ١١٤، ١١٦ كلهم عن زيد بن خالد الجهنى.

(٣) مسلم فى الوصية (١٦٣١/ ١٤) ، وأبوداود فى الوصايا (٢٨٨٠) .

(٤) البخارى فى بدء الوحى (١) وفى الإيمان (٥٤)، ومسلم فى الإمارة (١٩٠٧/ ١٥٥)، وأبو داود فى الطلاق (٢٢٠١)، والترمذى فى فضائل الجهاد (١٦٤٧) وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائى فى الطهارة (٧٥)، وابن ماجه فى الزهد (٤٢٢٧)، وأحمد ١/ ٢٥.

عن علقمة إلا محمد بن إبراهيم، ولا عن محمد إلا يحيى بن سعيد الأنصارى قاضى المدينة.

ورواه عن يحيى بن سعيد أئمة الإسلام، يقال: إنه رواه عنه نحو من مائتى عالم، مثل: مالك، والثورى، وابن عيينة، وحماد، وحماد، وعبد الوهاب الثقفى، وأبى خالد الأحمر، وزائدة، ويحيى بن سعيد/ القطان، ويزيد بن هارون، وغير هؤلاء خلق من أهل ١٨/٢٤٨
مكة والمدينة والكوفة والبصرة والشام، وغيرها، من شيوخ الشافعى وأحمد وإسحاق وطبقتهم، ويحيى بن معين، وعلى بن المدينى، وأبى عبيد.

ولهذا الحديث نظائر من غرائب الصحاح، مثل: حديث ابن عمر، عن النبى ﷺ: أنه نهى عن بيع الولاء وهبته. أخرجاه، تفرد به عبد الله بن دينار عن ابن عمر[(١)].

ومثل حديث أنس: أن النبى ﷺ دخل مكة وعلى رأسه المغفر فقيل: إن ابن خَطَل متعلق بأستار الكعبة، فقال: «اقتلوه» أخرجاه، تفرد به الزهرى عن أنس[(٢)]، وقيل: تفرد به مالك عن الزهرى، فالحديث الغريب: ما تفرد به واحد، وقد يكون غريب المتن، أو غريب الإسناد، ومثل أن يكون متنه صحيحًا من طريق معروفة، وروى من طريق أخرى غريبة.

ومن الغرائب ما هو صحيح، وغالبها غير صحيح، كما قال أحمد: اتقوا هذه الغرائب فإن عامتها عن الكذابين؛ ولهذا يقول الترمذى فى بعض الأحاديث: إنه غريب من هذا الوجه.

والترمذى أول من قسم الأحاديث إلى صحيح، وحسن، وغريب،/وضعيف، ولم ١٨/٢٤٩
يعرف قبله هذا التقسيم عن أحد، لكن كانوا يقسمون الأحاديث إلى صحيح، وضعيف، كما يقسمون الرجال إلى ضعيف، وغير ضعيف، والضعيف عندهم نوعان: ضعيف لا يحتج به، وهو الضعيف فى اصطلاح الترمذى، والثانى: ضعيف يحتج به، وهو الحسن فى اصطلاح الترمذى، كما أن ضعف المرض فى اصطلاح الفقهاء نوعان: نوع يجعل تبرعات صاحبه من الثلث، كما إذا صار صاحب فراش، ونوع يكون تبرعات صاحبه من رأس المال، كالمرض اليسير الذى لا يقطع صاحبه، ولهذا يوجد فى كلام أحمد وغيره من الفقهاء أنهم يحتجون بالحديث الضعيف؛ كحديث عمرو بن شعيب، وإبراهيم الهَجَرى

(١) البخارى فى العتق (٢٥٣٥)، ومسلم فى العتق (١٥٠٦/١٦) وقال مسلم: «الناس كلهم عيال، على عبد الله ابن دينار، فى هذا الحديث».

(٢) البخارى فى المغازى (٤٢٨٦)، ومسلم فى الحج (١٣٥٧/ ٤٥٠).

وغيرهما؛ فإن ذلك الذى سماه أولئك ضعيفًا هو أرفع من كثير من الحسن، بل هو مما يجعله كثير من الناس صحيحًا، والترمذى قد فسر مراده بالحسن أنه ما تعددت طرقه، ولم يكن فيها متهم، ولم يكن شاذًا.

فَصْـل

والمعنى الذى دل عليه هذا الحديث: أصل عظيم من أصول الدين، بل هو أصل كل عمل؛ ولهذا قالوا: مدار الإسلام على ثلاثة أحاديث فذكروه منها، كقول أحمد حديث: «إنما الأعمال بالنيات»[1]، و«مَنْ عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد»[2] «والحلال بَيِّنٌ والحرام / بين»[3]، ووجه هذا الحديث أن الدين فِعْلُ ما أمر الله به، وتَرْك ما نهى عنه. ٨/٢٥٠

فحديث الحلال بين فيه بيان ما نهى عنه. والذى أمر الله به نوعان: أحدهما: العمل الظاهر، وهو ما كان واجبًا أو مستحبًا، والثانى: العمل الباطن، وهو إخلاص الدين لله. فقوله: «من عمل عملا» إلخ ينفى التقرب إلى الله بغير ما أمر الله به؛ أمر إيجاب أو أمر استحباب.

وقوله: «إنما الأعمال بالنيات» إلخ يبين العمل الباطن، وأن التقرب إلى الله إنما يكون بالإخلاص فى الدين لله؛ كما قال الفضيل فى قوله تعالى: ﴿لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلاً﴾ [الملك: ٢]، قال: أخلصه وأصوبه، قال: فإن العمل إذا كان خالصًا، ولم يكن صوابًا لم يقبل، وإذا كان صوابًا، ولم يكن خالصًا لم يقبل، حتى يكون خالصًا صوابًا. والخالص: أن يكون لله، والصواب: أن يكون على السنة، وعلى هذا دل قوله تعالى: ﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠]، فالعمل الصالح هو ما أمر الله به ورسوله؛ أمر إيجاب أو أمر استحباب، وألا يشرك العبد بعبادة ربه أحدًا، وهو إخلاص الدين لله.

وكذلك قوله تعالى: ﴿بَلَىٰ مَنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أَجْرُهُ عِندَ رَبِّهِ﴾ الآية [البقرة: ١١٢]. وقوله: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ دِينًا مِّمَّنْ أَسْلَمَ وَجْهَهُ / لِلَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ وَاتَّبَعَ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [النساء: ١٢٥]، وقوله: ﴿وَمَن يُسْلِمْ وَجْهَهُ إِلَى اللَّهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ﴾ [لقمان: ٢٢]، فإن إسلام الوجه لله يتضمن إخلاص العمل لله، والإحسان هو إحسان العمل لله وهو فعل ما أمر به فيه كما قال تعالى: ﴿إِنَّا لا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ ١٨/٢٥١

(١) سبق تخريجه ص ١١ . (٢) مسلم فى الأقضية (١٧١٨/ ١٨) .
(٣) البخارى فى الإيمان (٥٢) ، ومسلم فى المساقاة (١٥٩٩/١٠٧، ١٠٨) .

عَمَلاً﴾ [الكهف: ٣٠]، فإن الإساءة فى العمل الصالح تتضمن الاستهانة بالأمر به، والاستهانة بنفس العمل، والاستهانة بما وعده الله من الثواب، فإذا أخلص العبد دينه لله وأحسن العمل له كان ممن أسلم وجهه لله وهو محسن، فكان من الذين لهم أجرهم عند ربهم ولا خوف عليهم ولا هم يحزنون.

فَصْـل

لفظ «النية» فى كلام العرب من جنس لفظ القصد والإرادة، ونحو ذلك، تقول العرب: نواك الله بخير، أى: أرادك بخير، ويقولون: نَوَىَ مَنْوِيه، وهو المكان الذين ينويه، يسمونه نوى، كما يقولون: قبض بمعنى مقبوض، والنية يعبر بها عن نوع من إرادة، ويعبر بها عن نفس المراد، كقول العرب: هذه نيتى، يعنى: هذه البقعة هى التى نويت إتيانها، ويقولون: نيته قريبة أو بعيدة، أى: البقعة التى/ نوى قصدها، لكن من الناس من يقول: إنها أخص ١٨/٢٥٢
من الإرادة؛ فإن إرادة الإنسان تتعلق بعمله وعمل غيره، والنية لا تكون إلا لعمله، فإنك تقول: أردت من فلان كذا، ولا تقول: نويت من فلان كذا.

فَصْـل

وقـد تنازع الناس فى قوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» هل فيه إضمار، أو تخصيص؟ أو هو على ظاهره وعمومه؟ فذهب طائفة من المتأخرين إلى الأول، قالوا: لأن المراد بالنيات الأعمال الشرعية التى تجب أو تستحب، والأعمال كلها لا تشترط فى صحتها هذه النيات، فإن قضاء الحقوق الواجبة من الغُصُوب والعَوَارِى والودائع والديون تَبْرَأ ذمة الدافع، وإن لم يكن له فى ذلك نية شرعية، بل تبرأ ذمته منها من غير فعل منه، كما لو تسلم المستحق عين ماله، أو أطارت الريح الثوب المودع أو المغصوب، فأوقعته فى يد صاحبه، ونحو ذلك.

ثم قال بعض هؤلاء: تقديره إنما ثواب الأعمال المترتبة عليها بالنيات، أو إنما تقبل بالنيات، وقال بعضهم: تقديره إنما الأعمال الشرعية،/أو إنما صحتها، أو إنما إجزاؤها، ١٨/٢٥٢
ونحو ذلك.

وقال الجمهور: بل الحديث على ظاهره وعمومه، فإنه لم يرد بالنيات فيه الأعمال الصالحة وحدها، بل أراد النية المحمودة والمذمومة، والعمل المحمود والمذموم؛ ولهذا قال فى

تمامه: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله» إلخ، فذكر النية المحمودة بالهجرة إلى الله ورسوله فقط، والنية المذمومة وهى الهجرة إلى امرأة أو مال، وهذا ذكره تفصيلا بعد إجمال، فقال: «إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى»، ثم فصل ذلك بقوله: «فمن كانت هجرته» إلخ.

وقد رُوِى أن سبب هذا الحديث: أن رجلا كان قد هاجر من مكة إلى المدينة لأجل امرأة كان يحبها تُدْعى أم قيس، فكانت هجرته لأجلها، فكان يسمى مهاجر أم قيس، فلهذا ذكر فيه: «أو امرأة يتزوجها ـ وفى رواية ـ ينكحها» فخص المرأة بالذكر لاقتضاء سبب الحديث لذلك. والله أعلم.

والسبب الذى خرج عليه اللفظ العام لا يجوز إخراجه منه باتفاق الناس، والهجرة فى الظاهر هى: سفر من مكان إلى مكان، والسفر جنس تحته أنواع مختلفة تختلف باختلاف نية صاحبه. فقد يكون سفرًا واجبًا، كحج أو جهاد متعين، وقد يكون محرمًا؛ كسفر العَادِى لقطع/ الطريق، والباغى على جماعة المسلمين، والعبد الآبق. والمرأة الناشز. ١٨/٢٥٤

ولهذا تكلم الفقهاء فى الفرق بين العاصى بسفره، والعاصى فى سفره، فقالوا: إذا سافر سفرًا مباحًا؛ كالحج والعمرة والجهاد جاز له فيه القصر والفطر باتفاق الأئمة الأربعة، وإن عصى فى ذلك السفر. وأما إذا كان عاصيًا بسفره؛ كقطع الطريق، وغير ذلك فهل يجوز له الترخص برخص السفر كالفطر والقصر؟ فيه نزاع:

فمذهب مالك، والشافعى، وأحمد: أنه لا يجوز له القصر والفطر، ومذهب أبى حنيفة يجوز له ذلك، وإذا كان النبى ﷺ قد ذكر هذا السفر وهذا السفر علم أن مقصوده ذكر جنس الأعمال مطلقًا، لا نفس العمل الذى هو قربة بنفسه كالصلاة والصيام، ومقصوده ذكر جنس النية، وحينئذ يتبين أن قوله: «إنما الأعمال بالنيات» مما خصه الله تعالى به من جوامع الكلم، كما قال: «بعثت بجوامع الكلم»[1]، وهذا الحديث من أجمع الكلم الجوامع التى بعث بها، فإن كل عمل يعمله عامل من خير وشر هو بحسب ما نواه، فإن قصد بعمله مقصودًا حسنًا كان له ذلك المقصود الحسن، وإن قصد به مقصودًا سيئًا كان له ما نواه.

---

(١) البخارى فى الاعتصام بالكتاب والسنة (٧٢٧٣)، والنسائى فى الجهاد (٣٠٨٧) كلاهما عن أبى هريرة.

/ فصـــل

١٨/٢٥٥

ولفظ «النية» يراد بها النوع من المصدر، ويراد بها المنوى، واستعمالها فى هذا لعله أغلب فى كلام العرب، فيكون المراد إنما الأعمال بحسب ما نواه العامل، أى: بحسب منويه؛ ولهذا قال فى تمامه: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» فذكر ما ينويه العامل ويريده بعمله وهو الغاية المطلوبة له، فإن كل متحرك بالإرادة لابد له من مراد.

ولهذا قال ﷺ: «أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن، وأقبحها حرب ومرة، وأصدقها حارث وهمام»[1] فإن كل آدمى حارث وهمام، والحارث هو العامل الكاسب، والهمام الذى يهم ويريد. قال تعالى: ﴿**مَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَن كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ مِنْهَا وَمَا لَهُ فِي الآخِرَةِ مِن نَّصِيبٍ**﴾ [الشورى: ٢٠]، فقوله حرث الدنيا أى: كسبها وعملها؛ ولهذا وضع الحريرى مقاماته على لسان الحارث بن همام؛ لصدق هذا الوصف على كل أحد.

/ فصـــل

١٨/٢٥٦

ولفظ «النية» يجرى فى كلام العلماء على نوعين: فتارة يريدون بها تمييز عمل من عمل، وعبادة من عبادة، وتارة يريدون بها تمييز معبود عن معبود، ومعمول له عن معمول له.

فالأول: كلامهم فى النية: هل هى شرط فى طهارة الأحداث؟ وهل تشترط نية التعيين والتبييت فى الصيام؟ وإذا نوى بطهارته ما يستحب لها هل تجزيه عن الواجب؟ أو أنه لابد فى الصلاة من نية التعيين ونحو ذلك ؟

والثانى: كالتمييز بين إخلاص العمل لله، وبين أهل الرياء والسمعة، كما سألوا النبى ﷺ عن الرجل يقاتل شجاعة وحَمِيَّة ورياءً، فأى ذلك فى سبيل الله؟ فقال: «من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»[2] وهذا الحديث يدخل فيه سائر الأعمال، وهذه النية تميز بين من يريد الله بعمله والدار الآخرة، وبين من يريد الدنيا؛ مالا وجاها ومدحًا وثناءً وتعظيمًا، وغير ذلك، والحديث دل على هذه النية بالقصد، وإن كان قد يقال: إن عمومه يتناول/ النوعين، فإنه فرق بين من يريد الله ورسوله، وبين من يريد دنيا أو

١٨/٢٥٧

(١) أبو داود فى الأدب (٤٩٥٠) ، والترمذي فى الأدب (٢٨٣٣) وقال : « حديث حسن غريب من هذا الوجه» ،وأحمد ٤/ ٣٤٥ .

(٢) البخارى فى العلم (١٢٣) ، ومسلم فى الإمارة (١٩٠٤/ ١٥٠، ١٥١) .

امرأة، ففرق بين معمول له ومعمول له. ولم يفرق بين عمل وعمل.

وقد ذكر الله تعالى الإخلاص فى كتابه فى غير موضع، كقوله تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ﴾ [البينة: ٥]، وقوله: ﴿فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ . أَلا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ [الزمر: ٢، ٣]. وقوله: ﴿قُلِ اللَّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصًا لَّهُ دِينِي﴾ [الزمر: ١٤]، وغير ذلك من الآيات.

وإخلاص الدين هو أصل دين الإسلام؛ ولذلك ذم الرياء فى مثل قوله: ﴿فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ. الَّذِينَ هُمْ عَن صَلاتِهِمْ سَاهُونَ. الَّذِينَ هُمْ يُرَاءُونَ﴾ [الماعون: ٤ ـ ٦]، وقوله: ﴿وَإِذَا قَامُوا إِلَى الصَّلاةِ قَامُوا كُسَالَىٰ يُرَاءُونَ النَّاسَ وَلا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلاَّ قَلِيلاً﴾ [النساء: ١٤٢]، وقال تعالى: ﴿كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ الآية [البقرة: ٢٦٤]، وقوله تعالى: ﴿وَالَّذِينَ[1] يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ رِئَاءَ النَّاسِ﴾ الآية [النساء: ٣٨].

فصـــل

وقد اتفق العلماء على أن العبادة المقصودة لنفسها؛ كالصلاة والصيام والحج لا تصح إلا بنية، وتنازعوا فى الطهارة، مثل: مَنْ يكون عليه جنابة فينساها، ويغتسل للنظافة، فقال مالك والشافعى وأحمد: النية/ شرط لطهارة الأحداث كلها. وقال أبو حنيفة: لا تشترط فى ١٨/٢٥٨
الطهارة بالماء بخلاف التيمم، وقال زُفَر: لا تشترط لا فى هذا ولا فى هذا، وقال بعض المتأخرين من أصحاب الشافعى وأحمد: تشترط لإزالة النجاسة، وهذا القول شاذ؛ فإن إزالة النجاسة لا يشترط فيها عمل العبد، بل تزول بالمطر النازل، والنهر الجارى، ونحو ذلك، فكيف تشترط لها النية؟!

وأيضًا، فإن إزالة النجاسة من باب التروك لا من باب الأعمال؛ ولهذا لو لم يخطر بقلبه فى الصلاة أنه مجتنب النجاسة صَحَّت صلاته إذا كان مجتنبًا لها؛ ولهذا قال مالك وأحمد ـ فى المشهور عنه ـ والشافعى ـ فى أحد قوليه ـ: لو صلى وعليه نجاسة لم يعلم بها إلا بعد الصلاة لم يُعد؛ لأنه من باب التروك. وقد ذكر الله عن المؤمنين قولهم: ﴿رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ [البقرة: ٢٨٦]. وثبت عن النبى ﷺ: «أن الله تعالى قال قد فعلت»[2] فمن فعل ما نهى عنه ناسيًا أو مخطئًا فلا إثم عليه، بخلاف من ترك ما أمر به، كمن ترك الصلاة فلابد من قضائها.

---

(١) فى المطبوعة: «الذين» والصواب ما أثبتناه.

(٢) أحمد ٤/ ١٤ وضعفه الألبانى فى ضعيف ابن ماجه (٣٠١٣) .

ولهذا فرق أكثر العلماء فى الصلاة والصيام والإحرام بين من فعل المحظور ناسيًا، وبين من ترك الواجب ناسيًا، كمن تكلم فى الصلاة ناسيًا، ومن أكل فى الصيام ناسيًا، ومن تطيب أو لبس ناسيًا فى الإحرام. والذين يوجبون النية فى طهارة الأحداث يحتجون بهذا الحديث على/ أبى حنيفة، وأبو حنيفة يسلم أن الطهارة غير المنوية ليست عبادة ولا ثواب ١٨/٢٥٩
فيها، وإنما النزاع فى صحة الصلاة بها، فقوله ﷺ: «إنما الأعمال بالنيات» لا يدل على محل النزاع إلا إذا ضمت إليه مقدمة أخرى، وهو أن الطهارة لا تكون إلا عبادة، والعبادة لا تصح إلا بنية، وهذه المقدمة إذا سلمت لم تَحْتَجْ إلى الاستدلال بهذا، فإن الناس متفقون على أن ما لا يكون إلا عبادة لا يصح إلا بنية، بخلاف ما يقع عبادة وغير عبادة، كأداء الأمانات وقضاء الديون.

وحينئذ، فالمسألة مدارها على أن الوضوء هل يقع غير عبادة؟ والجمهور يحتجون بالنصوص الواردة فى ثوابه، كقوله: «إذا توضأ العبد المسلم خرجت خطاياه مع الماء، أو مع آخر قطر الماء»[1] وأمثال ذلك، فيقولون: ففيه الثواب لعموم النصوص، والثواب لا يكون إلا مع النية، فالوضوء لا يكون إلا بنية.

وأبو حنيفة يقول: الطهارة شرط من شرائط الصلاة، فلا تشترط لها النية؛ كاللباس وإزالة النجاسة، وأولئك يقولون: اللباس والإزالة يقعان عبادة وغير عبادة؛ ولهذا لم يَرِد نص بثواب الإنسان على جنس اللباس والإزالة، وقد وردت النصوص بالثواب على جنس الوضوء.

وأبو حنيفة يقول: النصوص وردت بالثواب على الوضوء المعتاد،/ وعامة المسلمين إنما ١٨/٢٦٠
يتوضؤون بالنية، والوضوء الخالى عن النية نادر لا يقع إلا لمثل من أراد تعليم غيره، ونحو ذلك، والجمهور يقولون: هذا الوضوء الذى اعتاده المسلمون هو الوضوء الشرعى الذى تصح به الصلاة، وما سوى هذا لا يدخل فى نصوص الشارع، كقوله ﷺ: «لا تقبل صلاة أحدكم إذا أحدث حتى يتوضأ»[2]، فإن المخاطبين لا يعرفون الوضوء المأمور به إلا الوضوء الذى أثنى عليه، وحث عليه، وغير هذا لا يعرفونه، فلا يقصد إدخاله فى عموم كلامه، ولا يتناوله النص.

---

(١) مسلم فى الطهارة (٢٤٤/ ٣٢)، ومالك فى الموطأ ١/ ٣٢ (٣١)، وأحمد ٢/ ٣٠٣ كلهم عن أبى هريرة.

(٢) البخارى فى الوضوء (١٣٥٠) ، وفى الحيل (٦٩٥٤) ، ومسلم فى الطهارة (٢٢٥/ ٢)، وأبو داود فى الطهارة (٦٠)، والترمذى فى الطهارة (٧٦)، وقال : «هذا حديث حسن صحيح»، وأحمد ٢/ ٣٠٨. كلهم عن أبى هريرة.

فصـــل

وأما النية التى هى إخلاص الدين لله فقد تكلم الناس فى حَدِّها، وحد الإخلاص، كقول بعضهم: المخلص هو الذى لا يبالى لو خرج كل قدر له فى قلوب الناس من أجل صلاح قلبه مع الله ـ عز وجل، ولا يحب أن يطلع الناس على مِثْقَالِ الذَّرِّ من عمله، وأمثال ذلك من كلامهم الحسن. لكن كلامهم يتضمن الإخلاص فى سائر الأعمال، وهذا لا يقع من سائر الناس، بل لا يقع من أكثرهم، بل غالب المسلمين يخلصون لله فى كثير من أعمالهم؛ كإخلاصهم فى الأعمال المشتركة بينهم،/ مثل صوم شهر رمضان، فغالب ١٨/٢٦١
المسلمين يصومونه لله، وكذلك مَنْ داوم على الصلوات فإنه لا يصلى إلا لله ـ عز وجل، بخلاف من لم يحافظ عليها فإنما يصلى حياءً، أو رياء، أو لعلة دنيوية؛ ولهذا قال ﷺ فيما رواه الترمذى: «إذا رأيتم الرجل يعتاد المسجد فاشهدوا له بالإيمان؛ فإن الله تعالى يقول: ﴿إِنَّمَا يَعْمُرُ مَسَاجِدَ اللَّهِ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَلَمْ يَخْشَ إِلاَّ اللَّهَ﴾» الآية [التوبة: ١٨][(١)].

ومن لم يصل إلا بوضوء واغتسال فإنه لا يفعل ذلك إلا لله؛ ولهذا قال ﷺ فيما رواه أحمد، وابن ماجة من حديث ثوبان عنه أنه قال: «استقيموا ولن تُحْصُوا، واعلموا أن خير أعمالكم الصلاة، ولا يحافظ على الوضوء إلا مؤمن، فإن الوضوء سر بين العبد وبين الله ـ عز وجل»[(٢)]، وقد ينتقض وضوؤه ولا يدرى به أحد، فإذا حافظ عليه لم يحافظ عليه إلا لله ـ سبحانه، ومن كان كذلك لا يكون إلا مؤمنا، والإخلاص فى النفع المتعدى أقل منه فى العبادات البدنية؛ ولهذا قال فى الحديث المتفق على صحته: «سبعة يظلهم الله فى ظله يوم لا ظل إلا ظله»[(٣)] الحديث.

---

(١) الترمذى فى الإيمان (٢٦١٧) وقال: «هذا حديث غريب حسن»، وابن ماجه فى المساجد والجماعات (٨٠٢) كلاهما عن أبى سعيد.

(٢) ابن ماجه فى الطهارة (٢٧٧) وقال البوصيرى فى الزوائد: «رجال إسناده ثقات؛ إلا أن فيه انقطاعًا بين سالم وثوبان...»، وأحمد ٥/ ٢٨٢.

(٣) البخارى فى الأذان (٦٦٠)، ومسلم فى الزكاة (١٠٣١/ ٩١).

/ فصـــل

١٨/٢٦٢

والنية محلها القلب باتفاق العلماء؛ فإن نوى بقلبه ولم يتكلم بلسانه أجزأته النية باتفاقهم، وقد خَرَّج بعض أصحاب الشافعى وجهًا من كلام الشافعى غلط فيه على الشافعى؛ فإن الشافعى إنما ذكر الفرق بين الصلاة والإحرام بأن الصلاة فى أولها كلام، فظن بعض الغالطين أنه أراد التكلم بالنية، وإنما أراد التكبير، والنية تتبع العلم، فمن علم ما يريد فعله فلابد أن ينويه ضرورة، كمن قدم بين يديه طعامًا ليأكله فإذا علم أنه يريد الأكل فلابد أن ينويه، وكذلك الركوب وغيره، بل لو كُلِّف العباد أن يعملوا عملاً بغير نية كلفوا ما لا يطيقون؛ فإن كل أحد إذا أراد أن يعمل عملاً مشروعًا، أو غير مشروع فعلمه سابق إلى قلبه، وذلك هو النية، وإذا علم الإنسان أنه يريد الطهارة والصلاة والصوم فلابد أن ينويه إذا علمه ضرورة، وإنما يتصور عدم النية إذا لم يعلم ما يريد، مثل: من نسى الجنابة واغتسل للنظافة أو للتبرد، أو من يريد أن يُعَلِّم غيره الوضوء ولم يرد أنه يتوضأ لنفسه، أو من لا يعلم أن غدًا من رمضان فيصبح غير ناوٍ للصوم.

١٨/٢٦٣ / وأما المسلم الذى يعلم أن غدًا من رمضان ـ وهو يريد صوم رمضان ـ فهذا لابد أن ينويه ضرورة، ولا يحتاج أن يتكلم به، وأكثر ما يقع عدم التبييت والتعيين فى رمضان عند الاشتباه، مثل: من لا يعلم أن غدًا من رمضان أم لا، فينوى صوم رمضان مطلقًا أو يقصد تطوعًا، ثم يتبين أنه من رمضان، ولو تكلم بلسانه بشىء وفى قلبه خلافه كانت العبرة بما فى قلبه لا بما لفظ به، ولو اعتقد بقاء الوقت فنوى الصلاة أداء، ثم تبين خروج الوقت، أو اعتقد خروجه فنواها قضاء، ثم تبين له بقاؤه أجزأته صلاته بالاتفاق.

ومن عرف هذا تبين له أن النية مع العلم فى غاية اليسر لا تحتاج إلى وسوسة وآصار وأغلال؛ ولهذا قال بعض العلماء: الوسوسة إنما تحصل للعبد من جهل بالشرع أو خَبَل فى العقل.

وقد تنازع الناس: هل يستحب التلفظ بالنية؟ فقالت طائفة من أصحاب أبى حنيفة والشافعى وأحمد: يستحب ليكون أبلغ، وقالت طائفة من أصحاب مالك وأحمد: لا يستحب ذلك، بل التلفظ بها بدعة؛ فإن النبى ﷺ وأصحابه والتابعين لم ينقل عن واحد منهم أنه تكلم بلفظ النية لا فى صلاة، ولا طهارة، ولا صيام، قالوا: لأنها تحصل مع العلم بالفعل ضرورة، فالتكلم بها نَوْعُ هَوَسٍ وعبث وهَذَيَان، والنية تكون فى قلب الإنسان

١٨/٢٦٤ ويعتقد أنها ليست فى قلبه، فيريد/ تحصيلها بلسانه، وتحصيل الحاصل مُحَال، فلذلك يقع

كثير من الناس فى أنواع من الوسواس.

واتفق العلماء على أنه لا يسوغ الجهر بالنية، لا لإمام، ولا لمأموم، ولا لمنفرد، ولا يستحب تكريرها، وإنما النزاع بينهم فى التكلم بها سرًا: هل يكره أو يستحب؟

فصـــل

لفظة «إنما» للحصر عند جماهير العلماء، وهذا مما يعرف بالاضطرار من لغة العرب، كما تعرف معانى حروف النفى والاستفهام والشرط، وغير ذلك، لكن تنازع الناس: هل دلالتها على الحصر بطريق المنطوق أو المفهوم؟ على قولين، والجمهور على أنه بطريق المنطوق، والقول الآخر قول بعض مثبتى المفهوم، كالقاضى أبى يعلى فى أحد قوليه، وبعض الغلاة من نفاته، وهؤلاء زعموا أنها تفيد الحصر، واحتجوا بمثل قوله: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**﴾ [الأنفال: ٢].

وقد احتج طائفة من الأصوليين على أنها للحصر بأن حرف «إن» للإثبات وحرف «ما» للنفى فإذا اجتمعا حصل النفى والإثبات جميعًا،/ وهذا خطأ عند العلماء بالعربية؛ فإن «ما» ١٨/٢٦٥
هنا هى ما الكافَّة، ليست ما النافية، وهذه الكافة تدخل على إن وأخواتها فتكفها عن العمل، وذلك لأن الحروف العاملة أصلها أن تكون للاختصاص؛ فإذا اختصت بالاسم أو بالفعل ـ ولم تكن كالجزء منه ـ عملت فيه، فإن وأخواتها اختصت بالاسم فعملت فيه، وتسمى الحروف المشبهة للأفعال؛ لأنها عملت نصبًا ورفعًا وكثرت حروفها، وحروف الجر اختصت بالاسم فعملت فيه، وحروف الشرط اختصت بالفعل فعملت فيه، بخلاف أدوات الاستفهام فإنها تدخل على الجملتين ولم تعمل، وكذلك ما المصدرية.

ولهذا القياس فى ما النافية ألا تعمل ـ أيضًا ـ على لغة تميم، ولكن تعمل على اللغة الحجازية التى نزل بها القرآن فى مثل قوله تعالى: ﴿**مَّا هُنَّ أُمَّهَاتِهِمْ**﴾ [المجادلة: ٢]، و ﴿**مَا هَذَا بَشَرًا**﴾ [يوسف: ٣١]، استحسانًا لمشابهتها «ليس» هنا، لما دخلت ما الكافة على إن أزالت اختصاصها، فصارت تدخل على الجملة الإسمية والجملة الفعلية فبطل عملها، كقوله: ﴿**إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ**﴾ [الرعد: ٧]، وقوله: ﴿**إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾ [الطور: ١٦].

وقد تكون ما التى بعد إن اسمًا لا حرفًا، كقوله: ﴿**إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ**﴾ [طه: ٦٩]، بالرفع، أى: أن الذى صنعوه كيد ساحر، خلاف قوله: ﴿**إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا**﴾ [طه: ٧٢]، فإن القراءة بالنصب لا تستقيم إذا كانت ما بمعنى الذى، وفى كلا

١٨/٢٦٦ المعنيين الحصر موجود، لكن إذا/ كانت ما بمعنى الذى فالحصر جاء من جهة أن المعارف هى من صيَغ العموم، فإن الأسماء إما معارف وإما نكرات، والمعارف من صيغ العموم والنكرة فى غير الموجب كالنفى وغيره من صيغ العموم، فقوله: ﴿إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ﴾ [طه: ٦٩]، تقديره: إن الذى صنعوه كيد ساحر.

وأما الحصر فى «إنما» فهو من جنس الحصر بالنفى والاستثناء، كقوله تعالى: ﴿مَا أَنتَ إِلاَّ بَشَرٌ مِّثْلُنَا﴾ [الشعراء: ١٥٤]، ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ﴾ [آل عمران: ١٤٤].

والحصر قد يعبر عنه بأن الأول محصور فى الثانى، وقد يعبر عنه بالعكس، والمعنى واحد، وهو أن الثانى أثبته الأول، ولم يثبت له غيره، مما يتوهم أنه ثابت له، وليس المراد أنك تنفى عن الأول كل ما سوى الثانى، فقوله: ﴿إِنَّمَا أَنتَ مُنذِرٌ﴾ [الرعد: ٧]، أى: إنك لست ربا لهم، ولا محاسبًا، ولا مجازيًا، ولا وكيلاً عليهم، كما قال: ﴿لَسْتَ عَلَيْهِم بِمُسَيْطِرٍ﴾ [الغاشية: ٢٢] وكما قال: ﴿فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ﴾ [آل عمران: ٢٠]، ﴿مَا الْمَسِيحُ ابْنُ مَرْيَمَ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ وَأُمُّهُ صِدِّيقَةٌ﴾ [المائدة: ٧٥]، ليس هو إلهًا ولا أمه إلهة، بل غايته أن يكون رسولاً، كما غاية محمد أن يكون رسولاً، وغاية مريم أن تكون صديقة.

وهذا مما استدل به على بطلان قول بعض المتأخرين: إنها نبية، وقد حكَى الإجماع على
١٨/٢٦٧ عدم نبوة أحد من النساء القاضى أبو بكر/ بن الطيب والقاضى أبو يعلى، والأستاذ أبوالمعالى الجوينى، وغيرهم.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلاَّ رَسُولٌ قَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِ الرُّسُلُ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، أى: ليس مخلدًا فى الدنيا لا يموت ولا يقتل، بل يجوز عليه ما جاز على إخوانه المرسلين من الموت أو القتل، ﴿أَفَإِن مَّاتَ أَوْ قُتِلَ انقَلَبْتُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ﴾ [آل عمران: ١٤٤]، نزلت يوم أحد لما قيل: إن محمدًا قد قتل، وتلاها الصديق يوم مات رسول الله ﷺ، فقال: من كان يعبد محمدًا فإن محمدًا قد مات، ومن كان يعبد الله فإن الله حَىٌّ لا يموت[1]، وتلا[2] هذه الآية، فكأن الناس لم يسمعوها حتى تلاها أبو بكر ـ رضى الله تعالى عنه ـ فكان لا يوجد أحد إلا يتلوها.

---

(١) البخارى فى الجنائز (١٢٤٢).

(٢) فى المطبوعة: «تلى» والصواب ما أثبتناه.

فصـــل

وأما قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ الآية [الأنفال: ٢] فهذه الآية أثبت فيها الإيمان لهؤلاء، ونفاه عن غيرهم، كما نفاه النبى ﷺ عمن نفاه عنه فى الأحاديث مثل قوله: «لا يزنى الزانى حين يزنى وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن، فإياكم وإياكم»[(١)] وكذلك قوله: «لا إيمان لمن لا أمانة له، ولا دين لمن لا عهد له»[(٢)]، ومن هذا / الباب قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا﴾ الآية [الحجرات: ١٥]، وقوله: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ عَلَىٰ أَمْرٍ جَامِعٍ﴾ الآية [النور: ٦٢]. ١٨/٢٦٨

وهذه المواضع قد تنازع الناس فى نفيها، والذى عليه جماهير السلف وأهل الحديث وغيرهم: أن نفى الإيمان لانتفاء بعض الواجبات فيه، والشارع دائمًا لا ينفى المسمى الشرعى إلا لانتفاء واجب فيه، وإذا قيل: المراد بذلك نفى الكمال فالكمال نوعان: واجب، ومستحب، فالمستحب؛ كقول بعض الفقهاء: الغسل ينقسم إلى كامل ومجزئ، أى: كامل المستحبات، وليس هذا الكمال هو المنفى فى لفظ الشارع، بل المنفى هو الكمال الواجب وإلا فالشارع لم ينف الإيمان ولا الصلاة ولا الصيام ولا الطهارة، ولا نحو ذلك من المسميات الشرعية لانتفاء بعض مستحباتها؛ إذ لو كان كذلك لانتفى الإيمان عن جماهير المؤمنين، بل إنما نفاه لانتفاء الواجبات، كقوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ: «لا صيام لمن لم يبيت النية»[(٣)]، و «لا صلاة إلا بأم القرآن»[(٤)].

وقد رويت عنه ألفاظ تنازع الناس فى ثبوتها عنه، مثل: قوله: «لا صيام لمن لم يبيت الصيام من الليل»[(٥)] «ولا صلاة إلا بوضوء، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه»[(٦)]، «لا

---

(١) البخارى فى الحدود (٦٧٧٢) ، ومسلم فى الإيمان (٥٧/ ١٠٠) . (٢) أحمد ٣/ ١٣٥، ١٥٤ ، ٢١٠ .

(٣) الدارقطنى فى سننه ٢/ ١٧٢ وقال: تفرد به عبد الله بن عباد عن المفضل بهذا الإسناد، وكلهم ثقات، والبيهقى فى السنن الكبرى ٤/ ٢٠٣ كلاهما عن عائشة.

(٤) البخارى فى الأذان (٧٥٦) ، ومسلم فى الصلاة (٣٩٤/ ٣٤، ٣٦) بنحوه .

(٥) أبو داود فى الصوم (٢٤٥٤)، والترمذى فى الصوم (٧٣٠) وقال: «حديث حفصة لا نعرفه مرفوعًا إلا من هذا الوجه »، وابن ماجه فى الصيام (١٧٠٠)، وأحمد ٦/ ٢٨٧ كلهم عن حفصة بلفظ مقارب.

(٦) أبو داود فى الطهارة (١٠١)، وابن ماجه فى الطهارة (٣٩٩)، وأحمد ٢/ ٤١٨، كلهم عن أبى هريرة.

صلاة لجار المسجد إلا فى المسجد»[1]، من ثبتت عنده هذه الألفاظ فعليه أن يقول بموجبها،
١٨/٢٦٩ / فيوجب ما تضمنته من التبييت، وذكر اسم الله، وإجابة المؤذن، ونحو ذلك. ثم إذا ترك الإنسان بعض واجبات العبادة، هل يقال: بطلت كلها، فلا ثواب له عليها؟ أم يقال: يثاب على ما فعله، ويعاقب على ما تركه؟ وهل عليه إعادة ذلك؟ هذا يكون بحسب الأدلة الشرعية، فمن الواجبات فى العبادة ما لا تبطل العبادة بتركه ولا إعادة على تاركه، بل يجبر المتروك؛ كالواجبات فى الحج التى ليست أركانًا، مثل: رمى الجمار، وأن يحرم من غير الميقات، ونحو ذلك.

وكذلك الصلاة عند الجمهور؛ كمالك وأحمد، وغيرهم، فيها واجب لا تبطل الصلاة بتركه عندهم، كما يقول أبو حنيفة فى الفاتحة والطمأنينة. وكما يقول مالك وأحمد فى التشهد الأول، لكن مالك وأحمد يقولان: ما تركه من هذا سهوًا فعليه أن يسجد للسهو، وأما إذا تركه عمدًا فتبطل صلاته، كما تبطل الصلاة بترك التشهد الأول عمدًا فى المشهور من مذهبيهما، لكن أصحاب مالك يسمون هذا سنة مؤكدة، ومعناه معنى الواجب عندهم.

وأما أبو حنيفة فيقول: من ترك الواجب ـ الذى ليس بفرض ـ عمدًا أساء ولا إعادة عليه، والجمهور يقولون: لا نعهد فى العبادة واجبًا فيما يتركه الإنسان إلى غير بدل، ولا إعادة عليه، فلابد من وجوب البدل للإعادة. ولكن مع هذا اتفقت الأئمة على أن من ترك
١٨/٢٧٠ / واجبًا فى الحج ليس بركن، ولم يجبره بالدم الذى عليه لم يبطل حجه، ولا تجب إعادته، فهكذا يقول جمهور السلف وأهل الحديث: أن من ترك واجبًا من واجبات الإيمان الذى لا يناقض أصول الإيمان - فعليه أن يجبر إيمانه؛ إما بالتوبة، وإما بالحسنات المكفرة. فالكبائر يتوب منها، والصغار تكفرها الصلاة والصيام والصدقة والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، فإن لم يفعل لم يحبط إيمانه جملة.

وأصلهم أن الإيمان يتبعَّض، فيذهب بعضه ويبقى بعضه، كما فى قوله ـ عليه الصلاة والسلام ـ : «يخرج من النار من كان فى قلبه مثقال ذرة من إيمان»[2]، ولهذا مذهبهم أن الإيمان يتفاضل ويتبعض، هذا مذهب مالك، والشافعى، وأحمد، وغيرهم.

وأما الذين أنكروا تبعضه وتفاضله كأنهم قالوا: متى ذهب بعضه ذهب سائره، ثم انقسموا قسمين: فقالت الخوارج والمعتزلة: فعل الواجبات وترك المحرمات من الإيمان، فإذا ذهب بعض ذلك ذهب الإيمان كله فلا يكون مع الفاسق إيمان أصلاً بحال.

---

(١) الدارقطنى فى السنن ١/ ٤٢٠، والحاكم فى المستدرك ١/ ٢٤٦، والديلمى فى الفردوس (٧٩٢٩)، والسيوطى فى الجامع الصغير (٩٨٩٨) ورمز له بالضعف، وقال ابن حجر فى التلخيص الحبير ٢/ ٣١: «ضعيف ليس له إسناد ثابت أخرجه الدارقطنى عن جابر وأبى هريرة وفى الباب عن على وهو ضعيف أيضًا».

(٢) البخارى فى التوحيد (٧٥١٠) ، ومسلم فى الإيمان (١٨٣/ ٣٠٢) ، كلاهما بنحوه .

ثم قالت الخوارج: هو كافر، وقالت المعتزلة: ليس بكافر ولا مؤمن، بل هو فاسق، ننزله منزلةً بين المنزلتين، فخالفوا الخوارج فى الاسم ووافقوهم فى الحكم، وقالوا: إنه مخلد فى النار، لا يخرج منها/ بشفاعة ولا غيرها. والحزب الثانى: وافقوا أهل السنة على أنه ١٨/٢٧١
لا يخلد فى النار من أهل التوحيد أحد، ثم ظنوا أن هذا لا يكون إلا مع وجود كمال الإيمان؛ لاعتقادهم أن الإيمان لا يتبعض، فقالوا: كل فاسق فهو كامل الإيمان، وإيمان الخلق متماثل لا متفاضل، وإنما التفاضل فى غير الإيمان من الأعمال، وقالوا: الأعمال ليست من الإيمان؛ لأن الله فَرَّق بين الإيمان والأعمال فى كتابه. ثم قال الفقهاء المعتبرون من أهل هذا القول: إن الإيمان هو تصديق اللسان وقول القلب، وهذا المنقول عن حماد بن أبى سليمان ـ ومن وافقه؛ كأبى حنيفة وغيره، وقال جَهْم والصَّالحى ـ ومن وافقهما من أهل الكلام كأبى الحسن وغيره: إنه مجرد تصديق القلب.

وفصل الخطاب فى هذا الباب أن اسم الإيمان قد يذكر مجردًا، وقد يذكر مقرونًا بالعمل أو بالإسلام. فإذا ذكر مجردًا تناول الأعمال كما فى الصحيحين: «الإيمان بضع وستون أو بضع وسبعون شعبة، أعلاها قول: لا إله إلا الله. وأدناها إماطة الأذى عن الطريق»[(١)]، وفيهما أنه قال لوفد عبد القيس: «آمركم بالإيمان بالله، أتدرون ما الإيمان بالله؟ شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وأن تؤدوا خُمس ما غنمتم»[(٢)]، وإذا ذكر مع الإسلام ـ كما فى حديث جبريل أنه سأل النبى ﷺ عن/ الإيمان ١٨/٢٧٢
والإسلام والإحسان ـ فَرَّق بينهما، فقال: «الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله»، إلى آخره[(٣)]. وفى المسند عن النبى ﷺ: «الإسلام علانية، والإيمان فى القلب»[(٤)]، فلما ذكرهما جميعًا ذكر أن الإيمان فى القلب، والإسلام ما يظهر من الأعمال.

وإذا أفرد الإيمان أدخل فيه الأعمال الظاهرة؛ لأنها لوازم ما فى القلب؛ لأنه متى ثبت الإيمان فى القلب، والتصديق بما أخبر به الرسول وجب حصول مقتضى ذلك ضرورة؛ فإنه ما أَسَرَّ أحد سريرة إلا أبداها الله على صفحات وجهه وفَلَتَات لسانه، فإذا ثبت التصديق فى القلب لم يتخلف العمل بمقتضاه البتة، فلا تستقر معرفة تامة ومحبة صحيحة ولا يكون لها أثر فى الظاهر.

ولهذا ينفى الله الإيمان عمن انتفت عنه لوازمه؛ فإن انتفاء اللازم يقتضى انتفاء الملزوم، كقوله تعالى: ﴿**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ**﴾ [المائدة: ٨١]، وقوله: ﴿**لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ**

(١) البخارى فى الإيمان (٩)، ومسلم فى الإيمان (٣٥/ ٥٨).
(٢) البخارى فى الإيمان (٥٣)، وفى العلم (٨٧)، ومسلم فى الإيمان (١٧/ ٢٣، ٢٤) كلاهما عن ابن عباس.
(٣) البخارى فى الإيمان (٥٠)، ومسلم فى الإيمان (٨/ ١).
(٤) أحمد ٣/ ١٣٥، وقال الهيثمى فى المجمع (١/ ٥٧): «رواه أحمد وأبو يعلى بتمامه، والبزار باختصار، وقد وثقه ابن حبان وأبو داود الطيالسى وأبو حاتم وابن معين، وضعفه آخرون»، وحسنه السيوطى فى الجامع الصغير (٣٠٦٠).

وَرَسُولَهُ﴾ الآية [المجادلة: ٢٢]، ونحوها فالظاهر والباطن متلازمان لا يكون الظاهر مستقيمًا إلا مع استقامة الباطن، وإذا استقام الباطن فلابد أن يستقيم الظاهر؛ ولهذا قال النبى ﷺ: «ألا إن فى الجسد مُضْغَةً إذا صلحت صلح لها سائر الجسد، وإذا فسدت فسد
١٨/٢٧٣ لها سائر الجسد، ألا وهى القلب»[١]،/ وقال عمر لمن رآه يعبث فى صلاته: لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه، وفى الحديث: «لا يستقيم إيمان عبد حتى يستقيم لسانه، ولا يستقيم لسانه حتى يستقيم قلبه»[٢].

ولهذا كان الظاهر لازمًا للباطن من وجه وملزومًا له من وجه، وهو دليل عليه من جهة كونه ملزومًا، لا من جهة كونه لازمًا؛ فإن الدليل ملزوم المدلول، يلزم من وجود الدليل وجود المدلول، ولا يلزم من وجود الشىء وجود ما يدل عليه، والدليل يَطَّرِدُ ولا ينعكس، بخلاف الحد فإنه يطرد وينعكس.

وتنازعوا فى العلة هل يجب طردها، بحيث تبطل بالتخصيص والانتقاض؟ والصواب أن لفظ العلة يعبر به عن العلة التامة، وهو مجموع ما يستلزم الحكم، فهذه يجب طردها، ويعبر به عن المقتضى للحكم الذى يتوقف اقتضاؤه على ثبوت الشروط، وانتفاء الموانع، فهذه إذا تخلف الحكم عنها لغير ذلك بطلت.

وكذلك تنازعوا فى انعكاسها، وهو أنه هل يلزم من عدم الحكم عدمها؟ فقيل: لا يجب انعكاسها؛ لجواز تعليل الحكم بعلتين. وقيل: يجب الانعكاس؛ لأن الحكم متى ثبت مع عدمها لم تكن مؤثرة فيه، بل كان غنيًا عنها، وعدم التأثير مبطل للعلة. وكثير من الناس
١٨/٢٧٤ يقول/ بأن عدم التأثير يبطل العلة، ويقول بأن العكس ليس بشرط فيها، وآخرون يقولون: هذا تناقض.

والتحقيق فى هذا أن العلة إذا عُدِمت عُدِم الحكم المتعلق بها بعينه، لكن يجوز وجود مثل ذلك الحكم بعلة أخرى، فإذا وجد ذلك الحكم بدون علة أخرى علم أنها عديمة التأثير وبطلت، وأما إذا وجد نظير ذلك الحكم بعلة أخرى كان نوع ذلك الحكم معللا بعلتين، وهذا جائز، كما إذا قيل فى المرأة المرتدة: كفرت بعد إسلامها، فتقتل قياسًا على الرجل؛ لقول النبى ﷺ: «لا يحل دم امرئ مسلم يشهد أن لا إله إلا الله إلا بإحدى ثلاث: رجل كفر بعد إسلامه، أو زنى بعد إحصانه، أو قتل نفسًا فقتل بها»[٣]. فإذا قيل له لا تأثير

(١) البخارى فى الإيمان (٥٢)، ومسلم فى المساقاة (١٥٩٩/١٠٧).
(٢) أحمد ٣/١٩٨، عن أنس، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/٥٨ وقال: «رواه أحمد وفى إسناده على بن مسعدة وثقه جماعة وضعفه آخرون».
(٣) البخارى فى الديات (٦٨٧٨)، ومسلم فى القسامة (١٦٧٦/٢٥، ٢٦).

لقولك: كفر بعد إسلامه، فإن الرجل يقتل بمجرد الكفر، وحينئذ فالمرأة لا تقتل بمجرد الكفر، فيقول: هذه علة ثابتة بالنص، وبقوله: «من بَدَّل دينه فاقتلوه»[1] وأما الرجل فما قتلته لمجرد كفره، بل لكفره وجراءته؛ ولهذا لا أقتل من كان عاجزًا عن القتال؛ كالشيخ الهرم، ونحوه. وأما الكفر بعد الإسلام فعلة أخرى مبيحة للدم؛ ولهذا قتل بالردة من كان عاجزًا عن القتال كالشيخ الكبير.

١٨/٢٧٥ وهذا قول مالك وأحمد، وإن كان ممن يرى أن مجرد الكفر/ يبيح القتال كالشافعي؛ قال: الكفر وحده علة، والكفر بعد الإسلام علة أخرى.

وليس هذا موضع بسط هذه الأمور، وإنما ننبه عليها.

والمقصود أن لفظ الإيمان تختلف دلالته بالإطلاق والاقتران، فإذا ذُكِر مع العمل أريد به أصل الإيمان المقتضى للعمل، وإذا ذُكر وحده دخل فيه لوازم ذلك الأصل.

وكذلك إذا ذكر بدون الإسلام كان الإسلام جزءًا منه، وكان كل مسلم مؤمنًا، فإذا ذكر لفظ الإسلام مع الإيمان تميز أحدهما عن الآخر، كما في حديث جبريل، وكما في قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ**﴾ [الأحزاب: ٣٥]، ولهذا نظائر كلفظ المعروف والمنكر، والعدل والإحسان، وغير ذلك، ففي قوله: ﴿**يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ**﴾ [الأعراف: ١٥٧]، يدخل في لفظ المعروف كل مأمور به، وفي لفظ المنكر كل مَنْهي عنه، وفي قوله تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥]، جعل الفحشاء غير المنكر، وقوله: ﴿**وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ**﴾ [النحل: ٩٠] جعل الفحشاء والبغي غير المنكر.

١٨/٢٧٦ وإذا قيل: هذا من باب عطف الخاص على العام، والعام على الخاص/ فللناس هنا قولان: منهم من يقول: الخاص دخل في العام وخص بالذكر، فقد ذكر مرتين. ومنهم من يقول: تخصيصه بالذكر يقتضي أنه لم يدخل في العام، وقد يعطف الخاص على العام، كما في قوله: ﴿**وَمَلَائِكَتِهِ [وَرُسُلِهِ][2] وَجِبْرِيلَ**﴾ [البقرة: ٩٨]، وقوله: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ**﴾ الآية [الأحزاب: ٧]، وقد يعطف العام على الخاص، كما في قوله تعالى:

---

(١) البخاري في الجهاد (٣٠١٧)، وأبو داود في الحدود (٤٣٥١)، والترمذي في الحدود (١٤٥٨) وقال: «هذا حديث صحيح حسن»، والنسائي في قسم الفيء (٤٠٥٩)، وابن ماجه في الحدود (٢٥٣٥)، وأحمد ١/ ٢٨٢، ٢٨٣ كلهم عن ابن عباس.

(٢) ما بين المعقوفين سقط من المطبوعة، والصواب ما أثبتناه.

﴿ وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا ﴾ [الأحزاب: ٢٧].

وأصل الشبهة فى الإيمان أن القائلين: أنه لا يتبعض قالوا: إن الحقيقة المركبة من أمور متى ذهب بعض أجزائها انتفت تلك الحقيقة، كالعشرة المركبة من آحاد، فلو قلنا: إنه يتبعض لزم زوال بعض الحقيقة مع بقاء بعضها، فيقال لهم: إذا زال بعض أجزاء المركب تزول الهيئة الاجتماعية الحاصلة بالتركيب، لكن لا يلزم أن يزول سائر الأجزاء، والإيمان المؤلف من الأقوال الواجبة، والأعمال الواجبة الباطنة والظاهرة هو المجموع الواجب الكامل، وهذه الهيئة الاجتماعية. تزول بزوال بعض الأجزاء، وهذه هى المنفية فى الكتاب والسنة فى مثل قوله: «لا يزنى الزانى» إلخ[1]، وعلى ذلك جاء قوله تعالى: ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا ﴾ الآيات [الحجرات: ١٥]، ولكن لا يلزم أن تزول سائر الأجزاء، ولا أن سائر الأجزاء الباقية لا تكون من الإيمان بعد زوال بعضه. كما أن واجبات الحج من الحج الواجب الكامل، وإذا زالت زال/ هذا الكمال ولم يزل سائر ١٨/٢٧٧
الحج.

وكذلك الإنسان الكامل يدخل فى مسماه أعضاؤه كلها، ثم لو قطعت يداه ورجلاه لم يخرج عن اسم الإنسان، وإن كان قد زال منه بعض ما يدخل فى الاسم الكامل.

وكذلك لفظ الشجرة والباب والبيت والحائط، وغير ذلك، يتناول المسمى فى حال كمال أجزائه بعد ذهاب بعض أجزائه.

وبهذا تزول الشبهة التى أوردها الرازى ـ ومن اتبعه، كالأصبهانى وغيره ـ على الشافعى؛ فإن مذهبه فى ذلك مذهب جمهور أهل الحديث والسلف، وقد اعترض هؤلاء بهذه الشبهة الفاسدة على السلف.

والإيمان يتفاضل من جهة الشارع، فليس ما أمر الله به كل عبد هو ما أمر الله به غيره، ولا الإيمان الذى يجب على كل عبد يجب على غيره، بل كانوا فى أول الإسلام يكون الرجل مؤمنا كامل الإيمان، مستحقًا للثواب إذا فعل ما أوجبه الله عليه ورسوله، وإن كان لم يقع منه التصديق المفصل بما لم ينزل من القرآن، ولم يصم رمضان، ولم يحج البيت، كما أن من آمن فى زمننا هذا إيمانًا تاما، ومات قبل دخول وقت صلاة عليه مات مستكملاً للإيمان الذى وجب عليه، كما أنه مستحق للثواب على إيمانه ذلك.

/ وأما بعد نزول ما نزل من القرآن وإيجاب ما أوجبه الله ورسوله من الواجبات وتمكن ١٨/٢٧٨

(١) سبق تخريجه ص ١٥١ .

من فعل ذلك فإنه لا يكون مستحقًا للثواب بمجرد ما كان يستحق به الثواب قبل ذلك، فلذلك يقول هؤلاء: لم يكن هذا مؤمنا بما كان به مؤمنا قبل ذلك، وهذا لأن الإيمان الذى شرع لهذا أعظم من الإيمان الذى شرع لهذا، وكذلك المستطيع الحج يجب عليه ما لا يجب على العاجز عنه، وصاحب المال يجب عليه من الزكاة ما لا يجب على الفقير، ونظائره متعددة.

وأما تفاصيله من جهة العبد؛ فتارة يقوم هذا من الإقرار والعمل بأعظم مما يقوم به هذا. وكل أحد يعلم أن ما فى القلب من الأمور يتفاضل، حتى إن الإنسان يجد نفسه ـ أحيانًا ـ أعظم حبًا لله ورسوله وخشية لله، ورجاء لرحمته وتوكلاً عليه، وإخلاصًا منه فى بعض الأوقات.

وكذلك المعرفة والتصديق تتفاضل فى أصح القولين، وهذا أصح الروايتين عن أحمد، وقد قال غير واحد من الصحابة، كعمر بن حبيب الخَطْمِى وغيره: الإيمان يزيد وينقص، فإذا ذكرنا الله وحمدناه وسبحناه فتلك زيادته، وإذا غفلنا ونسينا وضيعنا فذلك نقصانه.

ولهذا سُنَّ الاستثناء فى الإيمان، فإن كثيرًا من السلف من الصحابة والتابعين وغيرهم استثنوا فى الإيمان، وآخرون أنكروا الاستثناء فيه،/ وقالوا: هذا شك. والذين استثنوا فيه ١٨/٢٧٩
منهم من أوجبه، ومنهم من لم يوجبه، بل جَوَّز تركه باعتبار حالتين، وهذا أصح الأقوال، وهذان القولان فى مذهب أحمد وغيره، فمن استثنى لعدم علمه بأنه غير قائم بالواجبات كما أمر الله ورسوله فقد أحسن، وكذلك من استثنى لعدم علمه بالعاقبة، وكذلك من استثنى تعليقًا للأمر بمشيئة الله تعالى لا شكا، ومن جزم بما هو فى نفسه فى هذه الحال كمن يعلم من نفسه أنه شهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله، فجزم بما هو متيقن حصوله فى نفسه فهو محسن فى ذلك.

وكثير من منازعات الناس فى مسائل الإيمان ومسائل الأسماء والأحكام هى منازعات لفظية، فإذا فصل الخطاب زال الارتياب. والله ـ سبحانه ـ أعلم بالصواب.

فصـــل

قوله ﷺ: «فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله فهجرته إلى الله ورسوله» ليس هو تحصيل للحاصل، لكنه إخبار بأن من نوى بعمله شيئًا فقد حصل له ما نواه، أى: من قصد بهجرته الله ورسوله حصل له ما قصده، ومن كان قَصْده الهجرة إلى دنيا أو امرأة فليس له إلا ذلك، فهذا تفصيل لقوله: «إنما الأعمال بالنيات»/ ولما أخبر أن لكل امرئ ما نوى ذكر أن لهذا ما نواه ولهذا ما نواه. ١٨/٢٨٠

والهجرة مشتقة من الهَجْر، وقد صَحَّ عن النبى ﷺ أنه قال: «المهاجر من هَجَرَ ما نهى الله عنه، والمجاهد من جاهد نفسه فى ذات الله»(١)، كما قال: «المسلم من سَلِمَ المسلمون من لسانه ويده، والمؤمن من أَمِنَهُ الناس على دمائهم وأموالهم»(٢)، وهذا بيانٌ منه لكمال مسمى هذا الاسم، كما قال: «ليس المسكين بهذا الطواف»(٣) إلخ، وقد يشبه هذا قوله: «ما تعُدُّون المفلس فيكم؟» قالوا: من ليس له درهم ولا دينار. قال: «ليس هذا المفلس، ولكن المفلس من يأتى يوم القيامة بحسنات أمثال الجبال، فيأتى وقد ضرب هذا، وشتم هذا، وأخذ مال هذا، فيعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا لم يَبْقَ له حسنة أُخذَ من سيئاتهم فطرحت عليه، ثم طرح فى النار»(٤). وقال: «ما تعدون الرَّقُوب فيكم؟» قالَوا: من لا يُولد له. قال: «الرقوب من لم يُقدِّم من ولده شيئًا»(٥)، ومثله قوله: «ليس الشديد بالصرعة، وإنما الشديد الذى يملك نفسه عند الغضب»(٦).

لكن فى هذه الأحاديث مقصود وبيان ما هو أحق بأسماء المدح والذم مما يظنونه. فإن الإفلاس حاجة وذلك مكروه، فبين أن حقيقة الحاجة إنما تكون يوم القيامة، وكذلك عدم

---

(١) البخارى فى الإيمان (١٠)، وأحمد ٦/ ٢١، ٢٢.

(٢) الترمذى فى الإيمان (٢٦٢٧) وقال: «هذا حديث حسن صحيح»، والنسائى فى الإيمان (٤٩٩٥).

(٣) البخارى فى الزكاة (١٤٧٩)، ومسلم فى الزكاة (١٠٣٩/ ١٠١)، ومالك فى الموطأ فى صفة النبى ﷺ ٢/ ٩٢٣ (٧)، كلهم عن أبى هريرة.

(٤) مسلم فى البر والصلة (٥٩/ ٢٥٨١)، والترمذى فى صفة القيامة (٢٤١٨) وقال: «حديث حسن صحيح»، وأحمد ٢/ ٣٠٣، ٣٣٤ كلهم عن أبى هريرة.

(٥) مسلم فى البر والصلة (١٠٦/ ٢٦٠٨)، وأحمد ١/ ٣٨٢، ٣٨٣، كلاهما عن عبد الله بن مسعود.
والرقوب: الذى لا يعيش له ولد. ومعنى الحديث: أنكم تعتقدون أن الرقوب المحزون هو المصاب بموت أولاده، وليس هو كذلك شرعًا. بل هو من لم يمت أحد من أولاده فى حياته فيحتسبه ويكتب له ثواب مصيبته به، وثواب صبره عليه. ويكون له فرطًا وسلفًا. انظر: النهاية ٢/ ٢٤٩.

(٦) مسلم فى البر (١٠٧/ ٢٦٠٩).

الولد تكرهه النفوس لعدم الولد النافع، فبين أن الانتفاع بالولد حقيقة إنما يكون فى الآخرة
لمن/ قَدَّم أولاده بين يديه، وكذلك الشدة والقوة محبوبة، فبين أن قوة النفوس أحق بالمدح ١٨/٢٨١
من قوة البدن، وهو أن يملك نفسه عند الغضب، كما قيل لبعض سادات العرب: ما بال عبيدكم أَصْبَرَ منكم عند الحرب وعلى الأعمال؟ قال: هم أصبر أجسادًا، ونحن أصبر نفوسًا.

وأما قوله: فى اسم المسلمين فهو من جنس قوله: فى المسلم والمؤمن والمهاجر والمجاهد، وهذا مطابق لما تقدم من أن الشارع لا ينفى مسمى اسْمٍ شرعىٍّ إلا لانتفاء كماله الواجب؛ فإن هَجْرَ ما نهى الله عنه واجب، وسلامة المسلمين من عدوان الإنسان بلسانه ويده واجب، والمؤمن على دمائهم وأموالهم لا يكون من أمنه الناس إلا إذا كان أمينًا والأمانة واجبة، والمسكين الذى لا يسأل ولا يعرف هو أحق بالإعطاء ممن أظهر حاجته وسؤاله، وعطاؤه واجب، وتخصيص السائل بالعطاء دون هذا لا يجوز، بل تخصيص الذى لا يسأل أَوْلى وأوجب وأحب.

وقد قال ﷺ: «لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية؛ وإذا اسْتُنْفِرتم فانفروا»[1]، وقال: «لا تنقطع الهجرة ما قوتل العدو»[2] وكلاهما حق. فالأول أراد به الهجرة المعهودة فى زمانه، وهى الهجرة إلى المدينة من مكة وغيرها من أرض العرب، فإن هذه الهجرة كانت مشروعة لما كانت مكة وغيرها دار كفر وحرب، وكان الإيمان بالمدينة، فكانت الهجرة من دار الكفر إلى دار الإسلام واجبة لمن قدر عليها، فلما فتحت مكة وصارت دار الإسلام، ودخلت العرب فى الإسلام/ صارت هذه الأرض كلها دار الإسلام، فقال: «لا هجرة بعد ١٨/٢٨٢
الفتح». وكون الأرض دار كفر ودار إيمان أو دار فاسقين ليست صفة لازمة لها، بل هى صفة عارضة بحسب سكانها، فكل أرض سكانها المؤمنون المتقون هى دار أولياء الله فى ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الكفار فهى دار كفر فى ذلك الوقت، وكل أرض سكانها الفساق فهى دار فسوق فى ذلك الوقت، فإن سكنها غير ما ذكرنا وتبدلت بغيرهم فهى دارهم.

وكذلك المسجد إذا تبدل بخمارة، أو صار دار فسق، أو دار ظلم، أو كنيسة يشرك فيها بالله كان بحسب سكانه، وكذلك دار الخمر والفسوق، ونحوها، إذا جعلت مسجدًا يعبد الله فيه ـ جل وعز ـ كان بحسب ذلك، وكذلك الرجل الصالح يصير فاسقًا والكافر يصير مؤمنًا، أو المؤمن يصير كافرًا، أو نحو ذلك، كُلٌّ بحسب انتقال الأحوال من حال إلى حال،

---

(١) البخارى فى الجهاد (٢٧٨٣) ، ومسلم فى الإمارة (٨٦/١٨٦٤) .

(٢) أحمد ٥/ ٢٧٠، والبيهقى فى السنن الكبرى فى السير ٩/ ١٨، وذكره الهيثمى فى المجمع ٥/ ٢٥٤ وقال: «رواه أحمد، وحيوة لم أعرفه، وبقية رجاله ثقات».

وقد قال تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلاً قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً﴾ الآية [النحل: ١١٢]، نزلت فى مكة لما كانت دار كفر، وهى ما زالت فى نفسها خير أرض الله وأحب أرض الله إليه، وإنما أراد سكانها. فقد روى الترمذى مرفوعًا، أنه قال لمكة وهو واقف بالحَزْوَرَة: «والله إنك لخير أرض الله، وأحب أرض الله إلى الله، ولولا أن قومى أخرجونى منك لما خرجت». وفى رواية: «خير أرض الله وأحب أرض الله إلىّ»[1] فبين أنها أحب أرض الله إلى الله
١٨/٢٨٣ ورسوله، وكان مقامه بالمدينة ومقام/ من معه من المؤمنين أفضل من مقامهم بمكة؛ لأجل أنها دار هجرتهم؛ ولهذا كان الرباط بالثغور أفضل من مجاورة مكة والمدينة، كما ثبت فى الصحيح: «رباط يوم وليلة فى سبيل الله خير من صيام شهر وقيامه، ومن مات مرابطاً مات مجاهدًا، وجرى عليه عمله، وأجرى رزقه من الجنة وأَمِنَ الفَتَّان»[2].

وفى السنن، عن عثمان، عن النبى ﷺ، أنه قال: «رباط يوم فى سبيل الله خير من ألف يوم فيما سواه من المنازل»[3] وقال أبو هريرة: لأن أرابط ليلة فى سبيل الله أحب إلى من أن أقوم ليلة القدر عند الحجر الأسود؛ ولهذا كان أفضل الأرض فى حق كل إنسان أرض يكون فيها أَطْوَع لله ورسوله، وهذا يختلف باختلاف الأحوال، ولا تتعين أرض يكون مقام الإنسان فيها أفضل وإنما يكون الأفضل فى حق كل إنسان بحسب التقوى والطاعة والخشوع والخضوع والحضور، وقد كتب أبو الدرداء إلى سلمان: هلم إلى الأرض المقدسة، فكتب إليه سلمان: إن الأرض لا تقدس أحدًا وإنما يقدس العبد عمله. وكان النبى ﷺ قد آخى بين سلمان وأبى الدرداء، وكان سلمان أفقه من أبى الدرداء فى أشياء من جملتها هذا.

وقد قال الله تعالى لموسى ـ عليه السلام ـ: ﴿سَأُرِيكُمْ دَارَ الْفَاسِقِينَ﴾ [الأعراف: ١٤٥]، وهى الدار التى كان بها أولئك العمالقة، ثم صارت بعد هذا دار المؤمنين، وهى الدار التى
١٨/٢٨٤ دل عليها القرآن من الأرض المقدسة،/ وأرض مصر التى أورثها الله بنى إسرائيل، فأحوال البلاد كأحوال العباد فيكون الرجل تارة مسلمًا، وتارة كافرًا، وتارة مؤمنًا، وتارة منافقًا، وتارة برًا تقيًا، وتارة فاسقًا، وتارة فاجرًا شقيًا.

وهكذا المساكن بحسب سكانها، فهجرة الإنسان من مكان الكفر والمعاصى إلى مكان الإيمان والطاعة كتوبته وانتقاله من الكفر والمعصية إلى الإيمان والطاعة، وهذا أمر باق إلى

---

(١) الترمذى فى المناقب (٣٩٢٥) وقال: «حديث حسن غريب صحيح» عن عبد الله بن عدى بن حمراء الزهرى.
والحَزْوَرَة: التل الصغير، وهو موضع بمكة عند باب الحنّاطين. انظر: النهاية ١/ ٣٨٠.

(٢) مسلم فى الإمارة (١٩١٣/١٦٣)، والنسائى فى الجهاد (٣١٦٧) كلاهما عن سلمان.

(٣) النسائى فى الجهاد (٣١٦٩)، والدارمى فى الجهاد ٢/ ٢١١، وأحمد ١/ ٧٥.

يوم القيامة، والله تعالى قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُولَئِكَ مِنكُمْ﴾ [الأنفال: ٧٥].

قالت طائفة من السلف: هذا يدخل فيه من آمن وهاجر وجاهد إلى يوم القيامة، وهكذا قوله تعالى: ﴿لِلَّذِينَ[1] هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا فُتِنُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾ [النحل: ١١٠]، يدخل في معناها كل من فتنه الشيطان عن دينه، أو أوقعه في معصية، ثم هجر السيئات وجاهد نفسه وغيرها من العدو، وجاهد المنافقين بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وغير ذلك وصبر على ما أصابه من قول أو فعل. والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

(١) في المطبوعة: «والذين»، والصواب ما أثبتناه.

obeikandl.com

١٨/٢٨ / وَقَـــالَ:

فَصْـــل

الأذكار الثلاثة التى اشتملت عليها خطبة ابن مسعود وغيره، وهى الحمد لله، نستعينه، ونستغفره[١]: هى التى يروى عن الشيخ عبد القادر ثم أبى الحسن الشاذلى، أنها جوامع الكلام النافع. وهى: الحمد لله وأستغفر الله، ولا حول ولا قوة إلا بالله، وذلك أن العبد بين أمرين: أمر يفعله الله به، فهى نعم الله التى تنزل عليه، فتحتاج إلى الشكر. وأمر يفعله هو؛ إما خير، وإما شر، فالخير يفتقر إلى معونة الله له، فيحتاج إلى الاستعانة، والشر يفتقر إلى الاستغفار؛ ليمحو أثره.

وجاء فى حديث ضماد الأَزْدِى: «الحمد لله، نحمده ونستعينه»[٢] فقط، وهذا موافق لفاتحة الكتاب، حيث قسمت نصفين: نصفًا للرب، ونصفًا للعبد، فنصف الرب مفتتح بالحمد لله، ونصف العبد مفتتح بالاستعانة به، فقال نحمده ونستعينه، وقد يقرن بين الحمد
١٨/٢٨ والاستغفار، كما فى الأثر الذى رواه أحمد فى الزهد: «أن رجلاً كان على عهد/ الحسن فقيل له: تلقينا هذه الخطبة عن الوالد عن والده، كما يقولها كثير من الناس: الحمد لله، نحمده، ونستعينه، ونستهديه، ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا» فأما «نحمده ونستعينه» ففى حديث ضماد، «ونستعينه ونستغفره» فى حديث ابن مسعود[٣]. وأما «نستهديه» ففى فاتحة الكتاب؛ لأن نصفها للرب وهو الحمد، ونصفها للعبد، وهو الاستعانة والاستهداء، وليس فيها الاستغفار؛ لأنه لا يكون إلا مع الذنب، والسورة أصل الإيمان، والفاتحة باب السعادة، المانعة من الذنوب. كما قال تعالى: ﴿**إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ**﴾ [العنكبوت: ٤٥].

وعن ابن عباس أن ضمادًا قدم مكة وكان من أَزْدِشنوءة. وكان يُرْقِى من هذه الريح، فسمع سفهاء من أهل مكة يقولون: إن محمدًا مجنون، فقال: لو أنى رأيت

(١) أبو داود فى الصلاة (١٠٩٧)، والنسائى فى النكاح (٣٢٧٧)، وابن ماجه فى النكاح (١٨٩٢)، والدارمى فى النكاح ٢/ ١٤٢، وأحمد ١/ ٤٣٢.

(٢) مسلم فى الجمعة (٨٦٨/ ٤٦)، والنسائى فى النكاح (٣٢٧٨)، وأحمد ١/ ٣٥٠.

(٣) النسائى فى النكاح (٣٢٧٧).

هـذا هذا الرجـل لعـل الله يشفيـه على يـدى، قـال: فلقيـه، فقـال: يا محمـد إنى أرقى من هـذه الريـح، وإن الله يشفى على يـدى مـن شاء الله، فهـل لك؟ فقال رسول الله ﷺ: «إن الحمد الله نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله، أما بعد» قال: فقال : أعد على كلماتك هؤلاء، فأعادهن عليه رسول الله ﷺ ثلاث مرات، قال: فقال: /لقـد سمـعت قول الكهنة، وقول السحرة، وقول الشعراء، فما سمعت بمثل كلماتك ١٨/٢٨٧
هؤلاء، ولقد بلغت قَاعُوسَ البحر، قال: فقال هات يدك أبايعك على الإسلام، قال: فبايعه، فقال رسول الله ﷺ: «وعلى قومك؟» فقال: وعلى قومى. رواه مسلم فى صحيحه(١).

ولهذا استحبت، وفعلت فى مخاطبة الناس بالعلم عمومًا وخصوصًا؛ من تعليم الكتاب والسنة والفقه فى ذلك، وموعظة الناس، ومجادلتهم أن يفتتح بهذه الخطبة الشرعية النبوية، وكان الذى عليه شيوخ زماننا، الذين أدركناهم، وأخذنا عنهم، وغيرهم يفتتحون مجلس التفسير، أو الفقه فى الجوامع والمدارس، وغيرها بخطبة أخرى.

مثل: الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على محمد خاتم المرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، ورضى الله عنا وعنكم، وعن مشائخنا، وعن جميع المسلمين، أو وعن السادة الحاضرين، وجميع المسلمين، كما رأيت قوما يخطبون للنكاح بغير الخطبة المشروعة، وكل قوم لهم نوع غير نوع الآخرين، فإن حديث ابن مسعود لم يخص النكاح، وإنما هى خطبة لكل حاجة فى مخاطبة العباد بعضهم بعضًا، والنكاح من جملة ذلك، فإن مراعاة السنن الشرعية فى الأقوال والأعمال فى جميع العبادات والعادات، هو كمال الصراط المستقيم، وما سوى ذلك ـ إن لم يكن/ منهيا عنه ـ فإنه منقوص مرجوح؛ إذْ خير الهدى هدى محمد ١٨/٢٨٨
ﷺ.

والتحقيق أن قـوله: «الحمـد لله نستعينه ونستغفره» هى الجـوامع، كما فى الحـديث النبـوى، حـديث ابن مسعود ذكر ذلك، وأن النبى ﷺ أوتى جوامع الكلم وخواتمه وفواتحـه، كما فى سـورتى «أبى» فـإن الاستهـداء يدخـل فى الاستعانـة، وتكـرير نحمده

---

(١) مسلم فى الجمعة (٨٦٨/٤٦).

وقوله: «قاعوس البحر»: قال ابن الأثير: «قال أبو موسى: هكذا وقعت فى صحيح مسلم، وفى سائر الروايات «قاموس البحر» وهو وسطه ولجته، ولعله لم يجود كتبته فصحفه بعضهم. وليست هذه اللفظة أصلاً فى مسند إسحاق الذى روى عنه مسلم هذا الحديث، غير أنه قرنه بأبى موسى وروايته، فلعلها فيها». انظر: النهاية ٨١/٥.

قد استغنى به بقوله: «الحمد لله»، فإذا فصلت جاز، كما فى دعاء القنوت: «اللهم إنا نستعينك، ونستهديك ، ونستغفرك، ونؤمن بك، ونتوكل عليك، ونثنى عليك الخير كله، ونشكرك، ولا نكفرك، ونخلع، ونترك من يَفْجُرُك»[1]. فهذه إحدى سورتى أبى، وهى مفتتحة بالاستعانة التى هى نصف العبد، مع ما بعدها من فاتحة الكتاب، وفى السورة الثانية: «اللهم إياك نعبد، ولك نصلى ونسجد، وإليك نسعى ونَحْفِد، نرجو رحمتك، ونخشى عذابك، إن عذابك الجِد بالكفار مُلْحِق»[2]. فهذا مفتتح بالعبادة التى هى نصف الرب، مع ما قبلها من الفاتحة، ففى سورتى القنوت مناسبة لفاتحة الكتاب، وفيهما جميعًا مناسبة لخطبة الحاجة وذلك جميعه من فواتح الكلم، وجوامعه، وخواتمه.

وأما قوله: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا» فإن المستعاذ منه نوعان: فنوع موجود، يستعاذ من ضرره الذى لم/ يوجد بعد، ونوع مفقود يستعاذ من وجوده؛ فإن نفس وجوده ضرر، مثال الأول: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، ومثال الثانى: ﴿**رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ . وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ**﴾ [المؤمنون: ٩٧، ٩٨]، و«اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضل أو أزل أو أُزل»[3]. ١٨/٢٨٠

وأما قوله: ﴿**قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ . مِن شَرِّ مَا خَلَقَ . وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ . وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ فِي الْعُقَدِ . وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ**﴾ [سورة الفلق]. فيشترك فيه النوعان، فإنه يستعاذ من الشر الموجود ألا يضر، ويستعاذ من الشر الضار المفقود ألا يوجد، فقوله فى الحديث: «ونعوذ بالله من شرور أنفسنا» يحتمل القسمين: يحتمل نعوذ بالله أن يكون منها شر، ونعوذ بالله أن يصيبنا شرها، وهذا أشبه، والله أعلم.

وقوله: «ومن سيئات أعمالنا» السيئات هى عقوبات الأعمال، كقوله: ﴿**سَيِّئَاتُ مَا مَكَرُوا**﴾ [غافر: ٤٥]، فإن الحسنات والسيئات يراد بها النعم والنقم كثيرًا، كما يراد بها الطاعات والمعاصى، وإن حملت على السيئات التى هى المعاصى، فيكون قد استعاذ أن يعمل السيئات، أو أن تضره. وعلى الأول ـ وهو أشبه ـ فقد استعاذ من عقوبة أعماله أن تصيبه، وهذا أشبه.

---

(١) البيهقى فى السنن الكبرى ٢/ ٢١٠، والسيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٤٢١.

(٢) البيهقى فى السنن الكبرى ٢/ ٢١١، والسيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٢٠.

وقوله: «نَحْفِد»: معناه: نسرع فى العمل والخدمة. انظر: النهاية ١/ ٤٠٦.

(٣) أبو داود فى الأدب (٥٠٩٤)، والترمذى فى الدعوات (٣٤٢٧) وقال: «حديث حسن صحيح»، والنسائى فى الاستعاذة (٥٤٨٦)، وابن ماجه فى الدعاء (٣٨٨٤)، وأحمد ٦/ ٣٠٦، ٣١٨ كلهم عن أم سلمة.

/ فيكون الحديث قد اشتمل على الاستعاذة من الضرر الفاعلى، والضرر الغائى، فإن ١٨/٢٩٠
سبب الضرر هو شر النفس، وغايته عقوبة الذنب، وعلى هذا فيكون قد استعاذ من الضرر المفقود الذى انعقد سببه ألا يكون؛ فإن النفس مقتضية للشر، والأعمال مقتضية للعقوبة، فاستعاذ أن يكون شر نفسه، أو أن تكون عقوبة عمله، وقد يقال: بل الشر هو الصفة القائمة بالنفس الموجبة للذنوب، وتلك موجودة كوجود الشيطان، فاستعاذ منها أن تضره أو تصيبه، كما يقال: «أعوذ بالله من الشيطان الرجيم»، وإن حمل على الشرور الواقعة، وهى الذنوب من النفس، فهذا قسم ثالث.

obeikandl.com

١٨/٢٩١ / وَقَالَ شيخ الإسلام ـ رَحِمهُ الله :

فَصْـــل

فى قول النبى ﷺ فى الحديث الصحيح:

«بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ، فَطُوبى للغرباء!»[(١)].

لا يقتضى هذا أنه إذا صار غريبًا يجوز تركه - والعياذ بالله، بل الأمر كما قال تعالى: ﴿ **وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ** ﴾ [آل عمران: ٨٥]، وقال تعالى: ﴿ **إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ** ﴾ [آل عمران: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [آل عمران: ١٠٢]، وقال تعالى: ﴿ **وَمَن يَرْغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلاَّ مَن سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ . إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ . وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَا بَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ لَكُمُ الدِّينَ فَلا تَمُوتُنَّ إِلاَّ وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

١٨/٢٩٢ / وقد بسطنا الكلام على هذا فى موضع آخر، وبينا أن الأنبياء كلهم كان دينهم الإسلام من نوح إلى المسيح.

ولذا لما بدأ الإسلام غريبًا لم يكن غيره من الدين مقبولاً، بل قد ثبت فى الحديث الصحيح - حديث عياض بن حمار ـ عن النبى ﷺ، أنه قال: «إن الله نظر إلى أهل الأرض فَمَقَتَهُم ـ عربهم وعجمهم ـ إلا بقايا من أهل الكتاب» الحديث[(٢)].

ولا يقتضى هذا أنه إذا صار غريبًا أن المتمسك به يكون فى شر، بل هو أسعد الناس، كما قال فى تمام الحديث: «فطوبى للغرباء». و«طوبى» من الطيب، قال تعالى: ﴿ **طُوبَىٰ لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ** ﴾ [الرعد: ٢٩]، فإنه يكون من جنس السابقين الأولين الذين اتبعوه لما كان غريبًا. وهم أسعد الناس.

أما فى الآخرة فهم أعلى الناس درجة بعد الأنبياء ـ عليهم السلام.

---

(١) مسلم فى الإيمان (١٤٥/ ٢٣٢)، والترمذى فى الإيمان (٢٦٢٩) وقال: «حسن صحيح غريب»، وابن ماجه فى الفتن (٣٩٨٦)، وأحمد ٢/ ٣٨٩ كلهم عن أبى هريرة، ما عدا الترمذى فعن عبد الله بن مسعود.

(٢) مسلم فى الجنة وصفة نعيمها (٢٨٦٥/ ٦٣)، وأحمد ٤/ ١٦٢ كلاهما عن عياض بن حمار.

وأما فى الدنيا فقد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الأنفال: ٦٤]، أى: إن الله حسبك وحسب مُتَّبِعُك وقال تعالى: ﴿إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٦]، وقال تعالى: ﴿أَلَيْسَ / اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ﴾ ١٨/٢٩٣
[الزمر: ٣٦]، وقال: ﴿وَمَن يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَل لَّهُ مَخْرَجًا . وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِبُ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣]، فالمسلم المتبع للرسول: الله تعالى حسبه وكافيه، وهو وليه حيث كان ومتى كان.

ولهذا يوجد المسلمون المتمسكون بالإسلام فى بلاد الكفر، لهم السعادة كلما كانوا أَتَمَّ تمسكًا بالإسلام، فإن دخل عليهم شر كان بذنوبهم. حتى إن المشركين وأهل الكتاب إذا رأوا المسلم القائم بالإسلام عظموه وأكرموه وأعفوه من الأعمال التى يستعملون بها المنتسبين إلى ظاهر الإسلام من غير عمل بحقيقته لم يكرم.

وكذلك كان المسلمون فى أول الإسلام وفى كل وقت.

فإنه لابد أن يحصل للناس فى الدنيا شر، ولله على عباده نعم، لكن الشر الذى يصيب المسلم أقل، والنعم التى تصل إليه أكثر، فكان المسلمون فى أول الإسلام وإن ابتلوا بأذى الكفار والخروج من الديار، فالذى حصل للكفار من الهلاك كان أعظم بكثير، والذى كان يحصل للكفار من عز أو مال كان يحصل للمسلمين أكثر منه حتى من الأجانب.

/ فرسول الله ﷺ - مع ما كان المشركون يسعون فى أذاه بكل طريق- كان الله يدفع عنه ويعزه ويمنعه وينصره، من حيث كان أعز قريش ما منهم إلا من كان يحصل له من يؤذيه، ويهينه من لا يمكنه دفعه؛ إذ لكل كبيرٍ كبيرٌ يناظره ويُنَاوِيه ويعاديه. وهذه حال من لم يتبع الإسلام - يخاف بعضهم بعضًا، ويرجو بعضهم بعضًا. ١٨/٢٩٤

وأتباعه الذين هاجروا إلى الحبشة، أكرمهم ملك الحبشة، وأعزهم غاية الإكرام والعز، والذين هاجروا إلى المدينة فكانوا أكرم وأعز.

والذى كان يحصل لهم من أذى الدنيا كانوا يعوضون عنه عاجلاً من الإيمان، وحلاوته ولذته ما يحتملون به ذلك الأذى، وكان أعداؤهم يحصل لهم من الأذى والشر أضعاف ذلك من غير عوض لا آجلاً ولا عاجلاً، إذ كانوا معاقبين بذنوبهم.

وكان المؤمنون ممتَحَنين ليخلُصَ إيمانهم وتُكَفَّر سيآتهم. وذلك أن المؤمن يعمل لله، فإن أوذى احتسب أذاه على الله، وإن بذل سعيًا أو مالاً بذله لله، فاحتسب أجره على الله.

/ والإيمان له حلاوة فى القلب، ولذة لا يعدلها شىء البتة. وقد قال النبى ﷺ: «ثلاث من كن فيه وجد بهن حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان ١٨/٢٩٥

يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار» أخرجاه فى الصحيحين[1]. وفى صحيح مسلم: «ذاق طعم الإيمان من رضى بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد نبيًا»[2].

وكما أن الله نهى نبيه أن يصيبه حزن أو ضيق ممن لم يدخل فى الإسلام فى أول الأمر، فكذلك فى آخره. فالمؤمن منهى أن يحزن عليهم، أو يكون فى ضيق من مكرهم.

وكثير من الناس إذا رأى المنكر، أو تغير كثير من أحوال الإسلام جَزِعَ وكَلَّ ونَاحَ، كما ينوح أهل المصائب، وهو منهى عن هذا، بل هو مأمور بالصبر والتوكل والثبات على دين الإسلام، وأن يؤمن بالله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون، وأن العاقبة للتقوى. وأن ما يصيبه فهو بذنوبه، فليصبر، إن وعد الله حق، وليستغفر لذنبه، وليسبح بحمد ربه بالعشى والإبكار.

١٨/٢٩٦ وقوله ﷺ: «ثم يعود غريبًا كما بدأ» يحتمل شيئين:/ أحدهما: أنه فى أمكنة وأزمنة يعود غريبًا بينهم ثم يظهر، كما كان فى أول الأمر غريبًا ثم ظهر؛ ولهذا قال: «سيعود غريبًا كما بدأ». وهو لما بدأ كان غريبًا لا يعرف ثم ظهر وعرف، فكذلك يعود حتى لا يعرف ثم يظهر ويعرف. فيقل من يعرفه فى أثناء الأمر كما كان من يعرفه أولا.

ويحتمل أنه فى آخر الدنيا لا يبقى مسلمًا إلا قليل. وهذا إنما يكون بعد الدجال ويأجوج ومأجوج عند قرب الساعة. وحينئذ يبعث الله ريحاً تقبض روح كل مؤمن ومؤمنة، ثم تقوم الساعة.

وأما قبل ذلك فقد قال ﷺ: «لاتزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق، لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى تقوم الساعة». وهذا الحديث فى الصحيحين[3]، ومثله من عدة أوجه.

فقد أخبر الصادق المصدوق أنه لا تزال طائفة ممتنعة من أمته على الحق، أعزاء، لا يضرهم المخالف ولا خلاف الخاذل. فأما بقاء الإسلام غريبًا ذليلاً فى الأرض كلها قبل الساعة فلا يكون هذا.

١٨/٢٩٧ وقوله ﷺ: «ثم يعود غريبًا كما بدأ» أعظم/ ما تكون غربته إذا ارتد الداخلون فيه عنه، وقد قال تعالى: ﴿**مَن يَرْتَدَّ منكُمْ عَن دينه فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ**﴾ [المائدة: ٥٤]. فهؤلاء يقيمونه إذا ارتد عنه أولئك.

---

(١) البخارى فى الإيمان (٢١) ومسلم فى الإيمان (٤٣/ ٦٧، ٦٨). (٢) مسلم فى الإيمان (٣٤/ ٥٦).
(٣) البخارى فى المناقب (٣٦٤٠، ٣٦٤١) ومسلم فى الإمارة (١٩٢٠/ ١٧٠، ١٧١، ١٧٣).

وكذلك بدأ غريبًا ولم يزل يقوى حتى انتشر. فهكذا يتغرب فى كثير من الأمكنة والأزمنة، ثم يظهر، حتى يقيمه الله ـ عز وجل ـ كما كان عمر بن عبد العزيز لما ولى، قد تَغَرَّبَ كثير من الإسلام على كثير من الناس، حتى كان منهم من لا يعرف تحريم الخمر. فأظهر الله به فى الإسلام ما كان غريبًا.

وفى السنن: «إن الله يبعث لهذه الأمة فى رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها»[1]. والتجديد إنما يكون بعد الدروس، وذاك هو غربة الإسلام.

وهذا الحديث يفيد المسلم أنه لا يغتم بقلة من يعرف حقيقة الإسلام، ولا يضيق صدره بذلك، ولا يكون فى شك من دين الإسلام، كما كان الأمر حين بدأ. قال تعالى: ﴿**فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْئَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ**﴾ [يونس: ٩٤]، إلى غير ذلك من الآيات / والبراهين الدالة على صحة الإسلام. ١٨/٢٩٨

وكذلك إذا تغرب يحتاج صاحبه من الأدلة والبراهين إلى نظير ما احتاج إليه فى أول الأمر. وقد قال له: ﴿**أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلاً وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِّن رَّبِّكَ بِالْحَقِّ فَلا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ . وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلاً لاَّ مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ . وَإِن تُطِعْ أَكْثَرَ مَن فِي الأَرْضِ يُضِلُّوكَ عَن سَبِيلِ اللَّهِ إِن يَتَّبِعُونَ إِلاَّ الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَخْرُصُونَ**﴾ [الأنعام: ١١٤ - ١١٦]، وقال تعالى: ﴿**أَمْ تَحْسَبُ أَنَّ أَكْثَرَهُمْ يَسْمَعُونَ أَوْ يَعْقِلُونَ إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً**﴾ [الفرقان: ٤٤].

وقد تكون الغربة فى بعض شرائعه، وقد يكون ذلك فى بعض الأمكنة. ففى كثير من الأمكنة يخفى عليهم من شرائعه ما يصير به غريبًا بينهم، لا يعرفه منهم إلا الواحد بعد الواحد.

ومع هذا، فطوبى لمن تمسك بتلك الشريعة كما أمر الله ورسوله، فإن إظهاره، والأمر به، والإنكار على من خالفه هو بحسب القوة والأعوان. وقد قال النبى ﷺ: «من رأى منكم منكرًا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه./ ليس وراء ذلك من الإيمان حَبَّة خَرْدَل»[2]. ١٨/٢٩٩

وإذا قُدِّر أن فى الناس من حصل له سوء فى الدنيا والآخرة بخلاف ما وعد الله به

(١) أبو داود فى الملاحم (٤٢٩١)، والحاكم فى المستدرك ٤/ ٥٢٢، والبيهقى فى معرفة السنن والآثار ١/ ٢٠٨، وذكره السيوطى فى الجامع الصغير (١٨٤٥) ورمز له بالصحة.

(٢) مسلم فى الإيمان (٤٩/ ٧٨) بلفظ: « وذلك أضعف الإيمان ».

رسوله وأتباعه فهذا من ذنوبه ونقص إسلامه، كالهزيمة التى أصابتهم يوم أحد.

وإلا فقد قال تعالى: ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ﴾ [غافر: ٥١]، وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا لِعِبَادِنَا الْمُرْسَلِينَ . إِنَّهُمْ لَهُمُ الْمَنصُورُونَ . وَإِنَّ جُندَنَا لَهُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [الصافات: ١٧١ ـ ١٧٣]. وفيما قصه الله تعالى من قصص الأنبياء وأتباعهم ونصرهم ونجاتهم وهلاك أعدائهم عِبْرَةٌ، والله أعلم.

فإن قيل: قوله تبارك وتعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤]، هو خطاب لذلك القَرْن، كقوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾ [النور: ٥٥]. ولهذا بين النبى ﷺ أنهم أهل اليمن الذين دخلوا فى الإسلام لما ارتد من ارتد من العرب. ويدل على ذلك أنه فى آخر الأمر لا يبقى مؤمن.

١٨/٣٠٠ قيل: قوله تبارك وتعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا﴾ خطاب لكل من/ بلغه القرآن من المؤمنين كسائر أنواع هذا الخطاب، كقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلاةِ﴾ [المائدة:٦]، وأمثالها. وكذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ﴾ [النور: ٥٥].

وكلاهما وقع، ويقع كما أخبر الله ـ عز وجل ـ فإنه ما ارتد عن الإسلام طائفة إلا أتى الله بقوم يحبهم يجاهدون عنه، وهم الطائفة المنصورة إلى قيام الساعة.

يبين ذلك أنه ذكر هذا فى سياق النهى عن موالاة الكفار، فقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ . فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ ـ إلى قوله ـ: يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥١ - ٥٤]. فالمخاطبون بالنهى عن موالاة اليهود والنصارى هم المخاطبون بآية الردة. ومعلوم أن هذا يتناول جميع قرون الأمة.

وهو لما نهى عن موالاة الكفار وبين أن من تولاهم من المخاطبين فإنه منهم بَيَّنَ أن من تولاهم وارتد عن دين الإسلام لا يضر الإسلام شيئًا.

١٨/٣٠١ / بل سيأتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، فيتولون المؤمنين دون الكفار، ويجاهدون فى

سبيل الله، لا يخافون لومة لائم، كما قال فى أول الأمر: ﴿فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَّلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ﴾ [الأنعام: ٨٩]. فهؤلاء الذين لم يدخلوا فى الإسلام، وأولئك الذين خرجوا منه بعد الدخول فيه ـ لا يضرون الإسلام شيئًا، بل يقيم الله من يؤمن بما جاء به رسوله، وينصر دينه إلى قيام الساعة.

وأهل اليمن هم ممن جاء الله بهم لما ارتد من ارتد إذ ذاك، وليست الآية مختصة بهم، ولا فى الحديث ما يوجب تخصيصهم، بل قد أخبر الله أنه يأتى بغير أهل اليمن ـ كأبناء فارس ـ لا يختص الوعد بهم.

بل قد قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ أَرَضِيتُم بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ. إِلَّا تَنفِرُوا يُعَذِّبْكُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَيَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّوهُ شَيْئًا وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [التوبة: ٣٨، ٣٩]، وهذا أيضًا خطاب لكل قرن، وقد أخبر فيه أنه من نَكَلَ عن الجهاد المأمور به عذبه واستبدل به من يقوم بالجهاد. وهذا هو الواقع.

وكذلك قوله فى الآية الأخرى: ﴿هَا أَنتُمْ هَؤُلَاءِ تُدْعَوْنَ لِتُنفِقُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَمِنكُم مَّن يَبْخَلُ وَمَن يَبْخَلْ فَإِنَّمَا يَبْخَلُ عَن نَّفْسِهِ وَاللَّهُ / الْغَنِيُّ وَأَنتُمُ الْفُقَرَاءُ وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]. فقد أخبر تعالى أنه من يتول عن الجهاد بنفسه أو عن الإنفاق فى سبيل الله استبدل به. ١٨/٣٠٢

فهذه حال الجبان البخيل، يستبدل الله به من ينصر الإسلام، وينفق فيه. فكيف تكون حال أصل الإسلام من ارتد عنه؟ أتى الله بقوم يحبهم ويحبونه، أذلة على المؤمنين، أعزة على الكافرين، يجاهدون فى سبيل الله، ولا يخافون لومة لائم.

وهذا موجود فى أهل العلم، والعبادة، والقتال، والمال، مع الطوائف الأربعة مؤمنون مجاهدون منصورون إلى قيام الساعة، كما منهم من يرتد أو من ينكل عن الجهاد والإنفاق.

وكذلك قوله تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾ [النور: ٥٥]. فهذا الوعد مناسب لكل من اتصف بهذا الوصف. فلما اتصف به الأولون استخلفهم الله كما وعد. وقد اتصف بعدهم به قوم بحسب إيمانهم وعملهم الصالح. فمن كان أكمل إيمانًا وعمل صالحًا كان استخلافه المذكور أتَمَّ. فإن كان فيه نقص وخلل كان فى تمكينه خَلَل ونقص؛ وذلك أن هذا جزاء هذا العمل، فمن قام بذلك العمل استحق ذلك الجزاء.

١٨/٣٠٣ / لكن ما بقى قرن مثل القرن الأول، فلا جُرْمَ ما بَقِيَ قرن يتمكن تمكن القرن الأول. قال ﷺ: «خير القرون القرن الذين بعثت فيهم، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم»[١].

ولكن قد يكون هذا لبعض أهل القرن، كما يحصل هذا لبعض المسلمين في بعض الجهات، كما هو معروف فى كل زمان.

وأما قوله ﷺ: «إن الله يبعث ريحاً تقبض روح كل مؤمن»[٢] فذاك ليس فيه رِدَّة، بل فيه موت المؤمنين. وهو لم يقل: «إذا مات كل مؤمن» أن يستبدل الله موضعه آخر، وإنما وعد بهذا إذا ارتد بعضهم عن دينه.

وهو مما يستدل به على أن الأمة لا تجتمع على ضلالة، ولا ترتد جميعها، بل لابد أن يبقى الله من المؤمنين مَنْ هو ظاهر إلى قيام الساعة. فإذا مات كل مؤمن فقد جاءت الساعة.

وهذا كما فى حديث العلم: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من الناس، ولكن يقبض العلم بقَبْضِ العلماء. فإذا لم يبق عالم اتخذ الناس رؤساء جهالا، فسئلوا فأفتوا بغير علم، فضلوا وأضلوا». والحديث مشهور فى الصحاح من حديث عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ[٣].

١٨/٣٠٤ / فإن قيل: ففى حديث ابن مسعود وغيره أنه قال: «يَسْرِى على القرآن فلا يبقى فى المصاحف منه آية ولا فى الصدور منه آية»[٤] وهذا يناقض هذا.

قيل: ليس كذلك. فإن قبض العلم ليس قبض القرآن بدليل الحديث الآخر: «هذا أوان يقبض العلم». فقال بعض الأنصار: وكيف يقبض وقد قرأنا القرآن وأقرأناه نساءنا وأبناءنا؟ فقال: «ثكلتك أمك! إن كنت لأَحْسَبُك لمن أَفْقَه أهل المدينة، أو ليست التوراة والإنجيل عند اليهود والنصارى؟ فماذا يغنى عنهم؟»[٥].

فتبين أن مجرد بقاء حفظ الكتاب لا يوجب هذا العلم، لا سيما فإن القرآن يقرأه المنافق والمؤمن، ويقرأه الأمى الذى لا يعلم الكتاب إلا أمانى. وقد قال الحسن البصرى: العلم

---

(١) البخارى فى الشهادات (٢٦٥٢) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٥٣٣/ ٢١٠) ، (٢١٦/٢٥٣٦).

(٢) مسلم فى الإيمان (١١٧/ ١٨٥)، والحاكم فى المستدرك ٤/ ٤٥٥ وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، والحديث فى مسلم، وليس كما قال الحاكم، والسيوطى فى الجامع الصغير (١٨٤٦).

(٣) البخارى فى العلم (١٠٠) ومسلم فى العلم (٢٦٧٣/ ١٣) .

(٤) السيوطى فى الدر المنثور ٦/ ٢٠١ وعزاه إلى سعيد بن منصور، وابن أبى شيبة، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبى حاتم، والطبرانى، والحاكم وصححه، وابن مردويه، والبيهقى فى الشعب.

(٥) ابن ماجه فى الفتن (٤٠٤٨) وأحمد ٤/ ١٦٠.

علمان: علم فى القلب، وعلم على اللسان. فعلم القلب هو العلم النافع، وعلم اللسان حجة الله على عباده. فإذا قبض الله العلماء بقى من يقرأ القرآن بلا علم، فيسرى عليه من المصاحف والصدور.

فإن قيل: ففى حديث حذيفة، الذى فى الصحيحين، أنه حدثهم عن قبض الأمانة وأن «الرجل ينام النَّومَة، فتقبض الأمانة من قلبه. فيظل أثرها مثل الوَكْت. ثم ينام النومة، فتقبض الأمانة من قلبه، فيظل/ أثرها مثل أَثَر الْمَجَلِ، كَجَمْرٍ دَحْرَجْتَه على رجلك فتراه ٨/٣٠٥
مُنْتَبِرًا وليس فيه شىء»[1].

قيل: وقبض الأمانة والإيمان ليس هو قبض العلم. فإن الإنسان قد يؤتى إيمانًا مع نقص علمه. فمثل هذا الإيمان قد يرفع من صدره؛ كإيمان بنى إسرائيل لما رأوا العجل. وأما من أوتى العلم مع الإيمان فهذا لا يرفع من صدره. ومثل هذا لا يرتد عن الإسلام قط، بخلاف مجرد القرآن أو مجرد الإيمان، فإن هذا قد يرتفع. فهذا هو الواقع.

لكن أكثر ما نجد الردة فيمن عنده قرآن بلا علم وإيمان، أو من عنده إيمان بلا علم وقرآن. فأما من أوتى القرآن والإيمان فحصل فيه العلم فهذا لا يرفع من صدره. والله أعلم.

---

(١) البخارى فى الرقاق (٦٤٩٧)، ومسلم فى الإيمان (١٤٣/ ٢٣٠).

وقوله: «الوكت»: الأثر فى الشىء كالنقطة من غير لونه. انظر: النهاية ٥/ ٢١٨.

وقوله: «المجل»: يقال: مجلت يده تَمْجل مجلاً، ومجلت تَمْجَلُ مجلا، إذا ثخن جلدها وتعجر، وظهر فيها ما يشبه البثر، من الأعمال بالأشياء الصلبة الخشنة. انظر: النهاية ٤/ ٣٠٠.

وقوله: «منتبرا»: أى مرتفعًا فى جسمه. انظر: النهاية ٥/ ٨.

١٨/٣٠ / وَقَالَ شيخ الإسلام ـ رَحِمهُ الله :

فَصْـــل

وأما قوله ﷺ: «مثل أمتى كمثل الغَيْث، لا يدرى أوله خَيْرٌ أو آخره»، فهذا قد رواه أحمد فى المسند[1]، وقد ضعفه بعض الناس، وبعضهم لم يضعفه، لكن قال معناه: أنه يكون فى آخرالأمة من يقارب أولهم فى الفضل، وإن لم يكن منهم ، حتى يشتبه على الناظر أيهما أفضل، وإن كان الله يعلم أن الأول أفضل، كما يقال فى الثوب المتشابه الطرفين: هذا الثوب لا يدرى أى طرفيه خير، مع العلم بأن أحد طرفيه خير من الآخر؛ وذلك لأنه قال: لا يدرى أوله خير، أو آخره، ومن المعلوم أن الله يعلم أيهما خير، إذا كان الأمر كذلك، وإنما ينفى العلم عن المخلوق، لا عن الخالق؛ لأن المقصود التشابه والتقارب، وما كان كذلك اشتبه على المخلوق أيهما خير.

١٨/٣٠ **/ وَسُئِلَ عن حديث أنس بن مالك، عن النبى ﷺ، أنه قال: «سبعة لا تموت ولا تَفْنى ولا تذوق الفنَاء: النار وسكانها، واللوح، والقلم، والكرسى، والعرش» فهل هذا الحديث صحيح أم لا؟**

فأجاب:

هذا الخبر بهذا اللفظ ليس من كلام النبى ﷺ، وإنما هو من كلام بعض العلماء. وقد اتفق سلف الأمة وأئمتها وسائر أهل السنة والجماعة على أن من المخلوقات ما لا يعدم ولا يفنى بالكلية؛ كالجنة والنار، والعرش، وغير ذلك. ولم يقل بفناء جميع المخلوقات إلا طائفة من أهل الكلام المبتدعين، كالجَهْم بن صفوان، ومن وافقه من المعتزلة، ونحوهم، وهذا قول باطل يخالف كتاب الله، وسنة رسوله، وإجماع سلف الأمة وأئمتها. كما فى ذلك من الدلالة على بقاء الجنة وأهلها، وبقاء غير ذلك مما لا تتسع هذه الورقة لذكره. وقد استدل طوائف من أهل الكلام والمتفلسفة على امتناع فناء جميع المخلوقات بأدلة عقلية. والله أعلم.

---

(١) الترمذى فى الأمثال (٢٨٦٩) وقال: «حديث حسن غريب»، وأحمد ٣/ ١٤٣، كلاهما عن أنس بن مالك.

/ وقَالَ شيخ الإسلام: ١٨/٣٠٨

فَصْــل

قال ﷺ: «أُعْطيت جوامع الكَلِم»[١] ـ وروى ـ «وخواتمه» ـ وروى «وفواتحه، وخواتمه» وقال فى حديث: «أعطى نبيكم جوامع الكلم وفواتحه وخواتمه».

وهذا حديث شريف جامع؛ وذلك أن الكلم نوعان: إنشائية فيها الطلب، والإرادة، والعمل. وإخبارية فيها الاعتقاد والعلم، وكل واحد من العلم والإرادة الذى هو الخبر والطلب فيه فروع كثيرة، وله أصول محيطة. وهى نوعان: كلية جامعة عامة. وأولية عَلِيَّة، فالعلوم الكلية والأولية والإرادات والتدابير والأوامر الكلية والأولية هى: جماع أمر الوجود كله. والخبر المطلوب كله الحق الموجود، والحق المقصود؛ ولهذا كان القياس العقلى والشرعى وغيرهما نوعين: قياس شمول، وقياس تعليل. فإن قياس التمثيل مُنْدَرِج فى أحدهما؛ لأن القدر المشترك بين المثلين إن كان هو محل الحكم فهو قياس شمول،/ وإن ٨/٣٠٩
كان مناط الحكم فهو قياس تعليل.

وذلك أن العلوم والإرادات، وما يُظْهِر ذلك من الكلمة الخبرية والطلبية إذا كانت عامة جامعة كلية فقد دخل فيها كل مطلوب، فلم يبق مما يطلب علمه شىء، وكل مقصود من الخبر، فلم يبق فيها مما يطلب قصده شىء، ثم ذلك علم وإرادة لنفسها وذاتها، سواء كانت مفردة أو مركبة. ثم لابد أن يتعلق بها علتان:

إحداهما: السبب وهى العلة الفاعلة.

والثانى: الحكمة: وهى العلة الغائية. فذلك هو العلم والإرادة للأمور الأولية. فإن السبب والفاعل أدل فى الوجود العينى. والحكمة والغاية أدل فى الوجود العلمى الإرادى؛ ولهذا كانت العلة الغائية علة فاعلية للعلة الفاعلية. وكانت هى فى الحقيقة علة العلل لتقدمها علمًا وقصدًا، وأنها قد تستغنى عن المعلول، والمعلول لا يستغنى عنها، وأن الفاعل لا يكون فاعلاً إلا بها، وأنها هى كمال الوجود وتمامه؛ ولهذا قدمت فى قوله: ﴿**إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ**﴾ [الفاتحة: ٥]. فإذا كانت الحكم المظهرة للعلم والطلب فيها الفواتح، وفيها الخواتم، جمعت نَوْعَى العلتين الأوليين. وإذا كانت جامعة كانت علة عامة.

---

(١) البخارى فى الجهاد (٢٩٧٧) ومسلم فى المساجد (٥٢٣/٥) واللفظ لمسلم.

١٨/٣١ / وَقَالَ شيخ الإسلام ـ رَحِمهُ الله :

قوله فى حديث الكرب الذى رواه أحمد من حديث ابن مسعود: «اللهم إنى عبدك، ابن عبدك، ابن أمتك، ناصيتى بيدك، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن رَبِيعَ قلبى، ونور صدرى، وجلاء حزنى، وذَهَاب همى وغَمِّى إلا أذهب الله همه وغمه، وأبدله به فرحًا»(١).

الربيع: هو المطر المنبت للربيع، ومنه قوله فى دعاء الاستسقاء: «اللهم اسقنا غَيْثًا مُغِيثًا، ربيعًا، مُرْبِعًا»(٢) وهو المطر الوَسْمِى الذى يَسِمُ الأرض بالنبات، ومنه قوله: «القرآن ربيع للمؤمن». فسأل الله أن يجعله ماء يحيى به قلبه كما يحيى الأرض بالربيع، ونورًا لصدره.

والحياة والنور جماع الكمال، كما قال: ﴿**أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ**﴾ [الأنعام: ١٢٢]، وفى خطبة أحمد بن حنبل: يحيون بكتاب الله الموتى، ١٨/٣١١ ويُبَصِّرون بنور الله أهل العمى؛ لأنه/ بالحياة يخرج عن الموت، وبالنور يخرج عن ظلمة الجهل، فيصير حيًا عالمًا ناطقًا، وهو كمال الصفات فى المخلوق. وكذلك قد قيل فى الخالق، حتى النصارى فسروا الأب والابن وروح القدس بالموجود الحى العالم. والغزالى رد صفات الله إلى الحى العالم، وهو موافق فى المعنى لقول الفلاسفة: عاقل، ومعقول، وعقل؛ لأن العلم يتبع الكلام الخبرى، ويستلزم الإرادة، والكلام الطلبى؛ لأن كل حى عالم فله إرادة وكلام، ويستلزم السمع والبصر، لكن هذا ليس بجيد؛ لأنه يقال: فالحى نفسه مستلزم لجميع الصفات، وهو أصلها؛ ولهذا كان أعظم آية فى القرآن: ﴿**اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ**﴾ [البقرة: ٢٥٥]. وهو الاسم الأعظم؛ لأنه ما من حى إلا وهو شاعر مريد، فاستلزم جميع الصفات، فلو اكتفى فى الصفات بالتلازم لاكتفى بالحى، وهذا ينفع فى الدلالة والوجود، لكن لا يصح أن يجعل معنى العالم هو معنى المريد، فإن الملزوم ليس هو عين اللازم، وإلا فالذات المقدسة مستلزمة لجميع الصفات.

فإن قيل: فلِمَ جمع فى المطلوب لنا بين ما يوجب الحياة والنور فقط دون الاقتصار على

(١) أحمد ١/ ٣٩١، ٤٥٢وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٣٩) : «رواه أحمد وأبو يعلى والبزار والطبرانى ورجال أحمد وأبو يعلى رجال الصحيح غير أبى سلمة الجهنى وقد وثقه ابن حبان » .

(٢) أبو داود فى الصلاة (١١٦٩)، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (١٢٧٠)، وأحمد ٤/ ٢٣٦، والحاكم فى المستدرك ١/ ٣٢٧ ، والطبرانى فى الكبير ١٠/ ٣٤٥، ١٢/ ١٣٠. بلفظ مقارب وضعفه الألبانى .

الحياة، أو الازدياد من القدرة وغيرها؟

قيل: لأن الأحياء الآدميين فيهم من يهتدى إلى الحق، وفيهم من لا يهتدى. فالهداية كمال الحياة، وأما القدرة فشرط فى/ التكليف لا فى السعادة، فلا يضر فَقْدها، ونور الصدر ١٨/٣١٢
يمنع أن يريد سواه.

ثم قوله: «ربيع قلبى ونور صدرى» لأنه ـ والله أعلم ـ الحَيَا لا يتعدى محله، بل إذا نزل الربيع بأرض أحياها. أما النور، فإنه ينتشر ضوؤه عن محله. فلما كان الصدر حاويًا للقلب جعل الربيع فى القلب والنور فى الصدر لانتشاره، كما فسرته المشكاة فى قوله: ﴿مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ﴾ [النور: ٣٥]، وهو القلب.

obeikandl.com

١٨/٣١٣ / وقال شيخ الإسلام:

فصـــل

وأما قوله ﷺ: «المرء مع مَنْ أحب»[١] فهو من أصح الأحاديث، وقال أنس فما فَرِحَ المسلمون بشيء بعد الإسلام فرحهم بهذا الحديث، فأنا أحب رسول الله ﷺ وأبا بكر وعمر، وأرجو أن يحشرنى الله معهم، وإن لم أعمل مثل أعمالهم[٢]، وكذلك: «أوثق عُرَى الإسلام الحب فى الله، والبغض فى الله»[٣] لكن هذا بحيث أن يحب المرء ما يحبه الله، ومَنْ يحبه الله. فيحب أنبياء الله كلهم؛ لأن الله يحبهم، ويحب كل من علم أنه مات على الإيمان والتقوى، فإن هؤلاء أولياء الله، والله يحبهم؛ كالذين يشهد لهم النبى ﷺ بالجنة، وغيرهم من أهل بدر، وأهل بيعة الرضوان.

فمن شهد له النبى ﷺ بالجنة شهدنا له بالجنة، وأما من لم يشهد له بالجنة فقد قال
١٨/٣١٤ طائفة من أهل العلم: لا يشهد له بالجنة/ ولا نشهد أن الله يحبه. وقال طائفة: بل من استفاض من بين الناس إيمانه وتقواه، واتفق المسلمون على الثناء عليه، كعمر بن عبدالعزيز، والحسن البصرى، وسفيان الثورى، وأبى حنيفة، ومالك، والشافعى، وأحمد، والفضيل ابن عياض، وأبى سليمان الدارانى، ومعروف الكرخى، وعبد الله بن المبارك ـ رضى الله عنهم ـ وغيرهم، شهدنا له بالجنة؛ لأن فى الصحيح: أن النبى ﷺ مُرَّ عليه بجنازة فأثنوا عليها خيرًا، فقال: «وَجَبَتْ، وَجَبَتْ»، ومرَّ عليه بجنازة فأثنوا عليها شرًا. فقال: «وجبت، وجبت». قالوا: يا رسول الله ما قولك وجبت، وجبت؟. قال: «هذه الجنازة أثنيتم عليها خيرًا، فقلت: وجبت لها الجنة، وهذه الجنازة أثنيتم عليها شرًا، فقلت: وجبت لها النار». قيل: بِمَ يا رسول الله؟! قال: «بالثناء الحسن، والثناء السيئ»[٤].

وإذا علم هذا، فكثير من المشهورين بالمشيخة فى هذه الأزمان قد يكون فيهم من الجهل والضلال والمعاصى والذنوب ما يمنع شهادة الناس لهم بذلك، بل قد يكون فيهم المنافق والفاسق، كما أن فيهم من هو من أولياء الله المتقين، وعباد الله الصالحين، وحزب الله

---

(١) البخارى فـــى الأدب (٦١٦٨، ٦١٦٩)، ومسلم فى البر والصلة (٢٦٤٠/ ١٦٥)، وأحمد ١/ ٣٩٢ كلهم عن عبد الله بن مسعود.

(٢) مسلم فى البر والصلة (٢٦٣٩/ ١٦٣).

(٣) أحمد ٤/ ٢٨٦ بلفظ: «أوسط عرى الإيمان» وابن أبى شيبة (١٠٤٦٩) والبيهقى فى الشعب (١٣).

(٤) البخارى فى الجنائز (١٣٦٧)، ومسلم فى الجنائز (٩٤٩/ ٦٠)، وأحمد ٣/ ١٨٦ كلهم عن أنس بن مالك.

المفلحين، كما أن غير المشائخ فيهم هؤلاء ـ وهؤلاء فى الجنة ـ كالتجار والفلاحين، وغيرهم من الأصناف.

/ وإذا كان كذلك، فمن طلب أن يحشر مع شيخ لم يعلم عاقبته كان ضالاً، بل عليه ١٨/٣١٥
أن يأخذ فيطلب ـ بما يعلم ـ أن يحشره الله مع نبيه والصالحين من عباده. كما قال الله تعالى: ﴿وَإِن تَظَاهَرَا عَلَيْهِ فَإِنَّ اللَّهَ هُوَ مَوْلاهُ وَجِبْرِيلُ وَصَالِحُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [التحريم: ٤]، وقال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ . وَمَن يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ﴾ [المائدة: ٥٥، ٥٦].

وعلى هذا، فمن أحب شيخًا مخالفًا للشريعة كان معه ، فإذا أدخل الشيخ النار كان معه، ومعلوم أن الشيوخ المخالفين للكتاب والسنة أهل الضلال والجهالة، فمن كان معهم كان مصيره مصير أهل الضلالة والجهالة، وأما من كان من أولياء الله المتقين؛ كأبى بكر وعمر وعثمان وعلى، وغيرهم. فمحبة هؤلاء من أوثق عُرَى الإيمان، وأعظم حسنات المتقين، ولو أحب الرجل لما ظهر له من الخير الذى يحبه الله ورسوله أثابه الله تعالى على محبة ما يحبه الله ورسوله، وإن لم يعلم حقيقة باطنه، فإن الأصل هو حب الله، وحب ما يحبه الله، فمن أحب الله وأحب ما يحبه الله كان من أولياء الله.

لكن كثيراً من الناس يدعى المحبة من غير تحقيق، قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ﴾ [آل عمران: ٣١]. قال بعض السلف: ادعى قوم على عهد رسول الله ﷺ أنهم/ يحبون الله، فأنزل الله هذه الآية، فمحبة الله ورسوله، ١٨/٣١٦
وعباده المتقين تقتضى فعل محبوباته، وترك مكروهاته، والناس يتفاضلون فى هذا تفاضلاً عظيمًا، فمن كان أعظم نصيبًا من ذلك كان أعظم درجة عند الله، وأما من أحب شخصًا لهواه، مثل: أن يحبه لدنيا يصيبها منه، أو لحاجة يقوم له بها، أو لمال يَتَأَكَّله به، أو بعصبية فيه، ونحو ذلك من الأشياء فهذه ليست محبة لله، بل هذه محبة لهوى النفس، وهذه المحبة هى التى توقع أصحابها فى الكفر والفسوق والعصيان.

وما أكثر من يدعى حب مشائخ لله، ولو كان يحبهم لله لأطاع الله الذى أحبهم لأجله، فإن المحبوب لأجل غيره تكون محبته تابعة لمحبة ذلك الغير، وكيف يحب شخصًا لله من لا يكون محبًا لله؟ وكيف يكون محبًا لله من يكون معرضًا عن رسول الله ﷺ، وسبيل الله؟ وما أكثر من يحب شيوخًا أو ملوكًا وغيرهم، فيتخذهم أندادًا يحبهم كحب الله، والفرق بين المحبة لله والمحبة مع الله ظاهرة، فأهل الشرك يتخذون أندادًا، يحبونهم كحب الله، والذين آمنوا أشد حبًا لله، وأهل الإيمان يحبون؛ وذلك أن أهل الإيمان أصل حبهم هو حب الله، ومن أحب الله أحب من يحبه الله، ومن أحبه الله أحب الله، فمحبوب المحبوب

محبوب لله، يحب الله، فمن أحب الله أحبه الله، فيحب من أحب الله.

١٨/٣١٧ / وأما أهل الشرك فيتخذون أندادًا وشفعاء يدعونهم من دون الله، قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَىٰ كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُم مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَىٰ مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَد تَّقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُم مَّا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ﴾ [الأنعام: ٩٤] وقال الله تعالى: ﴿وَمَا لِيَ لا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . أَأَتَّخِذُ مِن دُونِهِ آلِهَةً إِن يُرِدْنِ الرَّحْمَنُ بِضُرٍّ لا تُغْنِ عَنِّي شَفَاعَتُهُمْ شَيْئًا وَلا يُنقِذُونِ . إِنِّي إِذًا لَّفِي ضَلالٍ مُّبِينٍ . إِنِّي آمَنتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ﴾ [يس: ٢٢ - ٢٥] وقال الله تعالى: ﴿وَأَنذِرْ بِهِ الَّذِينَ يَخَافُونَ أَن يُحْشَرُوا إِلَىٰ رَبِّهِمْ لَيْسَ لَهُم مِّن دُونِهِ وَلِيٌّ وَلا شَفِيعٌ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ﴾ [الأنعام: ٥١] وقال الله تعالى: ﴿مَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُؤْتِيَهُ اللَّهُ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ ثُمَّ يَقُولَ لِلنَّاسِ كُونُوا عِبَادًا لِّي مِن دُونِ اللَّهِ وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ. وَلا يَأْمُرَكُمْ أَن تَتَّخِذُوا الْمَلائِكَةَ وَالنَّبِيِّينَ أَرْبَابًا أَيَأْمُرُكُم بِالْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنتُم مُّسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٧٩، ٨٠].

والله تعالى بعث الرسل، وأنزل الكتب ليكون الدين كله لله، وقال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح: «إنا معشر الأنبياء ديننا واحد»(١). فالدين واحد، وإن تفرقت الشِّرْعَة والمنهاج، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِن دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥]، وقال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولاً
١٨/٣١٨ / أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦]، ومن حين بعث الله محمدًا ﷺ ما يقبل من أحد بَلَغَتْه الدعوة إلا الدين الذى بعثه به. فإن دعوته عامة لجميع الخلائق، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ﴾ [سبأ: ٢٨]، وقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا يسمع بى من هذه الأمة يهودى ولا نصرانى ثم لا يؤمن بى إلا دخل النار»(٢).

وقال الله تعالى: ﴿وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَالَّذِينَ هُم بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ. الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ. قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ

(١) البخارى فى الأنبياء (٢٤٤٣) ومسلم فى الفضائل (٢٣٦٥/ ١٤٥) بنحوه.
(٢) مسلم فى الإيمان (١٥٣/ ٢٤٠).

السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُو يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٦ - ١٥٨].

فعلى الخلق كلهم اتباع محمد ﷺ، فلا يعبدون إلا الله، ويعبدونه بشريعة محمد ﷺ لا بغيرها، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ . إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ / أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ﴾ ١٨/٣١٩ [الجاثية: ١٨، ١٩]، ويجتمعون على ذلك ولا يتفرقون، كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ، أنه قال: «إن الله يَرْضَى لكم ثلاثًا: أن تعبدوه ولا تشركوا به شيئًا، وأن تعتصموا بحبل الله جميعًا ولا تفرقوا، وأن تَنَاصَحُوا مَنْ ولاه الله أمركم»[(١)] وعبادة الله تتضمن كمال محبة الله، وكمال الذل لله. فأصل الدين وقاعدته يتضمن أن يكون الله هو المعبود الذى تحبه القلوب وتخشاه، ولا يكون لها إله سواه، و«الإله» ما تألهه القلوب بالمحبة والتعظيم والرجاء والخوف والإجلال والإعظام، ونحو ذلك.

والله ـ سبحانه وتعالى ـ أرسل الرسل بأنه لا إله إلا هو فتخلو القلوب عن محبة ما سواه بمحبته وبرجائه، وعن سؤال ما سواه بسؤاله، وعن العمل لما سواه بالعمل له، وعن الاستعانة بما سواه بالاستعانة به.

ولهذا كان وسط الفاتحة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال النبى صلى الله عليه وآله وسلم فى الحديث الصحيح: «يقول الله تعالى: قسمت الصلاة بينى وبين عبدى، فإذا قال: ﴿الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ﴾ [الفاتحة: ٣]، قال: أثنى علىَّ عبدى، وإذا قال: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ [الفاتحة: ٤]، قال: مَجَّدنى عبدى، وإذا قال: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، قال: هذه الآية بينى وبين عبدى نصفين، ولعبدى ما سأل، وإذا قال: ﴿اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ./ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا ١٨/٣٢٠ الضَّالِّينَ﴾ [الفاتحة: ٦، ٧] هؤلاء لعبدى، ولعبدى ما سأل»[(٢)] فوسط السورة: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾ [الفاتحة: ٥]، فالدين ألا يعبد إلا الله، ولا يستعان إلا إياه.

والملائكة والأنبياء وغيرهم عباد الله، كما قال الله تعالى: ﴿لَن يَسْتَنكِفَ الْمَسِيحُ أَن يَكُونَ عَبْدًا لِّلَّهِ وَلا الْمَلائِكَةُ الْمُقَرَّبُونَ وَمَن يَسْتَنكِفْ عَنْ عِبَادَتِهِ وَيَسْتَكْبِرْ فَسَيَحْشُرُهُمْ إِلَيْهِ جَمِيعًا . فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُوَفِّيهِمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدُهُم مِّن فَضْلِهِ وَأَمَّا الَّذِينَ اسْتَنكَفُوا وَاسْتَكْبَرُوا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا وَلا يَجِدُونَ لَهُم مِّن دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلا نَصِيرًا﴾ [النساء: ١٧٢، ١٧٣]،

---

(١) مسلم فى الأقضية (١٧١٥/ ١٠) وليس فيه « وأن تناصحوا من ولاه الله أمركم » والموطأ فى الكلام (٢٠).
(٢) مسلم فى الصلاة (٣٨/٣٩٥) . .

فالحب لغير الله؛ كحب النصارى للمسيح، وحب اليهود لموسى، وحب الرافضة لعلى، وحب الغلاة لشيوخهم وأئمتهم، مثل: مَنْ يوالى شيخًا أو إمامًا وينفر عن نظيره، وهما متقاربان، أو متساويان فى الرتبة، فهذا من جنس أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الرسل وكفروا ببعض، وحال الرافضة الذين يوالون بعض الصحابة ويعادون بعضهم، وحال أهل العصبية من المنتسبين إلى فقه وزهد الذين يوالون الشيوخ والأئمة دون البعض.

وإنما المؤمن من يوالى جميع أهل الإيمان. قال الله تعالى: ﴿**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ**﴾ [الحجرات: ١٠]، وقال النبى ﷺ: «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ـ وشبك بين أصابعه ـ »[(١)] وقال: «مثل/ المؤمنين فى تَوَادِّهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالحمى والسهر»[(٢)] وقال ـ عليه السلام ـ: «لا تَقَاطَعُوا، ولا تَدَابَرُوا، وكونوا عباد الله إخوانًا»[(٣)]. ١٨/٣٢١

وعما يبين الحب لله والحب لغير الله، أن أبا بكر -رضى الله عنه- كان يحب النبى ﷺ مخلصًا لله، وأبو طالب ـ عمه ـ كان يحبه وينصره لهواه لا لله، فتقبل الله عمل أبى بكر وأنزل فيه: ﴿**وسيُجَنَّبُهَا الأَتْقَى. الَّذي يُؤْتي مَالَهُ يَتَزَكَّىٰ. وَمَا لأَحَدٍ عِندَهُ من نِّعْمَةٍ تُجْزَىٰ. إِلاَّ ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الأَعْلَىٰ. وَلَسَوْفَ يَرْضَىٰ**﴾ [الليل: ١٧ - ٢١]. وأما أبو طالب فلم يتقبل منه، فأبو بكر لم يطلب أجره وجزاءه من الخلق؛ لا من النبى ﷺ، ولا غيره، بل آمن به وأحبه وكَلأَهُ وأعانه بنفسه وماله، متقربًا بذلك إلى الله، وطالبًا الأجر من الله، ورسوله، يبلغ عن الله أمره ونهيه ووعده ووعيده، قال الله تعالى: ﴿**فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلاغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ**﴾ [الرعد: ٤٠].

والله هو الذى يخلق، ويرزق، ويعطى، ويمنع، ويخفض، ويرفع، ويعز ويذل، وهو ـ سبحانه ـ مسبب الأسباب، ورب كل شىء ومليكه، والأسباب التى تفعلها العباد منها ما أمر الله به وأباحه، فهذا يَسْلُك، ومنها ما نهى عنه نهيًا خالصًا، أو كان من البدع التى لم يأذن الله بها، فهذا لا يسلك. قال الله تعالى: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم/ مِّن دُونِ اللَّهِ لا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلا فِي الأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمَا مِن شِرْكٍ وَمَا لَهُ مِنْهُم مِّن ظَهِيرٍ. وَلا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلاَّ لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سبأ: ٢٢، ٢٣]. ١٨/٣٢٢

بَيَّن ـ سبحانه ـ ضلال الذين يدعون المخلوق من الملائكة والأنبياء وغيرهم، فبين أن المخلوقين لا يملكون مثقال ذرة فى السموات ولا فى الأرض، ثم بين أنه لا شِرْكَة لهم، ثم بين أنه لا عَوْنَ له ولا ظهير؛ لأن أهل الشرك يشبهون الخالق بالمخلوق كما يقول بعضهم إذا

(١) البخارى فى الصلاة (٤٨١) ومسلم فى البر والصلة (٦٥/٢٥٨٥).
(٢) البخارى فى الأدب (٦٠١١) ومسلم فى البر والصلة (٦٦/٢٥٨٦).
(٣) البخارى فى الأدب (٦٠٦٤) ومسلم فى البر والصلة (٣٠/٢٥٦٣).

كانت لك حاجة: استَوْحِ الشيخ فلانا فإنك تجده، أو توجه إلى ضريحه خطوات، وناد: يا شيخ، تقضى حاجتك، وهذا غلط لا يحل فعله، وإن كان من هؤلاء الداعين لغير الله من يرى صورة المدعو أحيانًا، فذلك شيطان يمثل له، كما وقع مثل هذا لعدد كثير، ونظير هذا قول بعض الجهال من أتباع الشيخ عَدِيٍّ وغيره: كل رزق لا يجيء على يد الشيخ لا أريده.

والعجب من ذى عقل سليم يستوحى من هو ميت، ويستغيث به، ـ ولا يستغيث بالحى الذى لا يموت ـ فيقول أحدهم: إذا كانت لك حاجة إلى ملك توسلت إليه بأعوانه، فهكذا يتوسل إليه بالشيوخ، وهذا كلام أهل الشرك والضلال، فإن الملك لا يعلم حوائج رعيته، ولا يقدر على قضائها وحده، ولا يريد ذلك إلا لغرض يحصل/ له بسبب ذلك، والله أعلم ١٨/٣٢٣
بكل شيء يعلم السر وأخفى، وهو على كل شيء قدير، فالأسباب منه وإليه.

وما من سبب من الأسباب إلا دائر موقوف على أسباب أخرى، وله معارضات، فالنار لا تحرق إلا إذا كان المحل قابلاً، فلا تحرق السَّمَنْدَل[1]، وإذا شاء الله منع أثرها، كما فعل بإبراهيم ـ عليه السلام ـ وأما مشيئة الرب فلا تحتاج إلى غيره، ولا مانع لها، بل ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، وهو ـ سبحانه ـ أرحم من الوالدة بولدها، يحسن إليهم، ويرحمهم ويكشف ضرهم مع غناه عنهم، وافتقارهم إليه ﴿**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ**﴾ [الشورى: ١١]، فنفى الرب هذا كله، فلم يبق إلا الشفاعة فقال: ﴿**وَلَا تَنفَعُ الشَّفَاعَةُ عِندَهُ إِلَّا لِمَنْ أَذِنَ لَهُ**﴾ [سبأ: ٢٣]، وقال: ﴿**مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِندَهُ إِلَّا بِإِذْنِهِ**﴾ [البقرة: ٢٥٥] فهو الذى يأذن فى الشفاعة وهو الذى يقبلها، فالجميع منه وحده.

وكلما كان الرجل أعظم إخلاصًا لله، كانت شفاعة الرسول أقرب إليه قال له أبو هريرة: من أسعد الناس بشفاعتك يا رسول الله؟ قال: «من قال لا إله إلا الله يبتغى بها وجه الله»[2].

وأما الذين يتوكلون على فلان ليشفع لهم من دون الله تعالى، ويتعلقون بفلان، فهؤلاء من جنس المشركين الذين اتخذوا شفعاء من/ دون الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿**أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ شُفَعَاءَ قُلْ أَوَلَوْ كَانُوا لَا يَمْلِكُونَ شَيْئًا وَلَا يَعْقِلُونَ . قُل لِّلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا**﴾ ١٨/٣٢٤
[الزمر: ٤٣، ٤٤]، وقال الله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ مَا لَكُم مِّن دُونِهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا شَفِيعٍ**﴾ [السجدة: ٤]، وقال: ﴿**قُلِ ادْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُم مِّن دُونِهِ فَلَا يَمْلِكُونَ كَشْفَ الضُّرِّ**

(١) السَّمَنْدَل: طائر بالهند لا يحترق بالنار. انظر: القاموس المحيط، مادة «سمندل».
(٢) البخارى فى العلم (٩٩).

عَنكُمْ وَلا تَحْوِيلاً . أُوْلَئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ كَانَ مَحْذُوراً﴾ [الإسراء: ٥٦، ٥٧]، قال طائفة من السلف: كان أقوام يدعون المسيح والعزير والملائكة، فبين الله تعالى أن هؤلاء الأنبياء والملائكة عباده، كما أن هؤلاء عباده، هؤلاء يتقربون إلى الله، وهؤلاء يرجون رحمة الله، وهؤلاء يخافون عذاب الله، فالمشركون اتخذوا مع الله أندادًا يحبونهم كحب الله، واتخذوا شفعاء يشفعون لهم عند الله، ففيهم محبة لهم، وإشراك بهم، وفيهم من جنس ما فى النصارى من حب المسيح، وإشراك به.

والمؤمنون أشد حبًا لله، فلا يعبدون إلا الله وحده، ولا يجعلون معه شيئًا، يحبونه كحبه لا أنبياءه ولا غيرهم، بل أحبوا ما أحبه بمحبتهم لله، وأخلصوا دينهم لله، وعلموا أن أحدًا لا يشفع لهم إلا بإذن الله، فأحبوا عَبْدَ الله ورسوله محمدًا ﷺ لحب الله، وعلموا أنه عبدالله المبلغ عن الله، فأطاعوه فيما أمر، وصدقوه فيما أخبر، ولم يرجوا إلا الله، ولم يخافوا إلا الله، ولم يسألوا إلا الله، وشفاعته لمن/يشفع له هو بإذن الله، ولا ينفع رجاؤنا ١٨/٣٢٥
للشفيع، ولا مخافتنا له، وإنما ينفع توحيدنا وإخلاصنا لله، وتوكلنا عليه، فهو الذى يأذن للشفيع.

فعلى المسلم أن يفرق بين محبة النصارى والمشركين ودينهم، ويتبع أهل التوحيد والإيمان، ويخرج عن مشابهة المشركين وعَبَدَةِ الصُّلْبَان. وفى الصحيحين عن النبى ﷺ أنه قال: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن كان يحب المرء لا يحبه إلا لله، ومن كان يكره أن يرجع فى الكفر بعد إذ أنقذه الله منه كما يكره أن يلقى فى النار»(١). ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [التوبة: ٢٤]، وقال الله تعالى: ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤]، وهذا باب واسع، ودين الإسلام مَبْنِيٌّ على هذا الأصل، والقرآن يدور عليه.

---

(١) البخارى فى الإيمان (٢١) ومسلم فى الإيمان (٤٣/٦٧).

/ وسئل شيخ الإسلام عن «المسكَنَة»وعن قوله ﷺ: «اللهم أَحْيِنِى مسكينًا، وأمتنى مسكينًا، واحشرنى فى زُمْرَة المساكين»[1]. ١٨/٣٢٦

فأجاب:

الحمد لله، هذا الحديث قد رواه الترمذى، وقد ذكره أبو الفرج فى الموضوعات، وسواء صح لفظه، أو لم يصح، فالمسكين المحمود هو المتواضع، الخاشع لله، ليس المراد بالمسكنة عدم المال، بل قد يكون الرجل فقيرًا من المال، وهو جبار، كما قال النبى ﷺ فى الحديث الصحيح: «ثلاثة لا يكلمهم الله، ولا ينظر إليهم يوم القيامة، ولا يزكيهم، ولهم عذاب أليم: ملك كذاب، وفقير مختال، وشيخ زان»[2]. وكان النبى ﷺ يقول: «أنا عبد آكل كما يأكل العبد، وأجلس كما يجلس العبد»[3]. فالمسكنة: خلق فى النفس، وهو التواضع والخشوع، واللين ضد الكِبْر. كما قال عيسى ـ عليه السلام ـ: ﴿**وَبَرًّا بِوَالِدَتِي وَلَمْ يَجْعَلْنِي جَبَّارًا شَقِيًّا**﴾ [مريم: ٣٢]، ومنه قول الشاعر:

/ مساكين أهل الحب حتى قبورهم ١٨/٣٢٧

عليها تـراب الـذل بـين المقابـر

أى: أذلاء فالحب يعطى الذل، وعبادة الله تجمع كمال الحب له وكمال الذل له، فمن كان محبًا شيئًا ولم يكن ذليلاً له، لم يكن عابدًا. ومن كان ذليلاً له، وهو مُبْغِضُ، لم يكن عابدًا، والحب درجات: أعلاه التَّتَيُّم، وهو التعبد، وتَيَّم الله: عَبَدَ الله، وقد قال تعالى: ﴿**وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الأَرْضِ هَوْنًا وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ قَالُوا سَلَامًا**﴾ الآيات [الفرقان: ٦٣]. وشواهد هذا الأصل كثيرة.

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣٥٢) وقال: «حديث غريب»، وابن الجوزى فى الموضوعات ٣/ ١٤٢، كلاهما عن أنس ابن مالك. وابن ماجه فى الزهد (٤١٢٦) وقال البوصيرى فى الزوائد: «أبو المبارك لا يعرف اسمه، وهو مجهول. ويزيد بن سنان ضعيف، والحديث صححه الحاكم، وعده ابن الجوزى فى الموضوعات»، والحاكم فى المستدرك ٤/ ٣٢٢ وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه» ووافقه الذهبى، وابن الجوزى فى الموضوعات ٣/ ١٤١ وقال: «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ» كلهم عن أبى سعيد الخدرى.

(٢) مسلم فى الإيمان (١٠٧/ ١٧٢)، والنسائى فى الكبرى فى الرجم (٧١٣٨/ ١٥) كلاهما عن أبى هريرة.

(٣) ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٥/ ٣٣٤، والديلمى فى الفردوس (١٣٦٢)، والسيوطى فى جمع الجوامع (٦٣٨٣)، كلهم عن أنس بن مالك، والسيوطى فى الدر المنثور ٤/ ١١٥ عن ابن عمر، وكنز العمال (٤٠٧٩٢) وعزاه إلى ابن عساكر.

١٨/٣٢٨ / وقال شيخ الإسلام:

فصـــل

جمع النبى ﷺ بين العفة والغنَى فى عدة أحاديث، منها: قوله فى حديث أبى سعيد المخرج فى الصحيحين: «من يَسْتَغْنِ يُغْنه الله، ومن يستعفف يُعِفَّه الله»(١). ومنها: قوله فى حديث عياض بن حمار فى صحيح مسلم: «أهل الجنة ثلاثة: ذو سلطان مُقْسِط، ورجل غنى عفيف متصدق»(٢). ومنها: قوله فى حديث الخيل الذى فى الصحيح: «ورجل ارتبطها تَغَنِّيًا وتعففًا. ولم يَنْسَ حق الله فى رقابها وظهورها، فهى له سِتْر»(٣). ومنها: ما روى عنه: «من طلب المال استغناءً عن الناس واستعفافًا عن المسألة لقى الله ووجهه كالقمر ليلة البدر»(٤). ومنها: قوله فى حديث عمر ـ وغيره ـ: «ما أتاك من هذا المال وأنت غير سائل ولا مُشْرِفٍ فخذه»(٥) فالسائل بلسانه، وهو ضد المتعفف، والمُشْرِفُ بقلبه، وهو ضد الغنى.

١٨/٣٢٩ قال فى حق الفقراء: ﴿يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، أى/ عن السؤال للناس. وقال: «ليس الغِنَى عن كثرة العَرَضِ، وإنما الغنى غنى النفس»(٦) فغنى النفس الذى لا يستشرف إلى المخلوق، فإن الحر عَبْدٌ ما طمع، والعبد حُرٌّ ما قَنَعْ. وقد قيل:

أطعت مطامعى فاستعبدتنى

فكرِهَ أن يتبع نفسه ما استشرفت له لئلا يبقى فى القلب فقر وطمع إلى المخلوق، فإنه خلاف التوكل المأمور به، وخلاف غنى النفس.

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٦٩)، ومسلم فى الزكاة (١٠٥٣/ ١٢٤)، وأبو داود فى الزكاة (١٦٤٤).
(٢) مسلم فى الجنة (٢٨٦٥/ ٦٣).
(٣) البخارى فى الاعتصام (٧٣٥٦)، والنسائى فى الخيل (٣٥٦٣) كلاهما عن أبى هريرة.
(٤) ابن أبى شيبة فى مصنفه (٢٢٢٨)، وأبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ١١٠، كلاهما عن أبى هريرة.
(٥) البخارى فى الزكاة (١٤٧٣)، ومسلم فى الزكاة (١٠٤٥/ ١١٠، ١١١).
وقوله: «مُشْرِف» أى: متطلع إليه، وطامع فيه. انظر: النهاية ٢/ ٤٦٢.
(٦) البخارى فى الرقاق (٦٤٤٦)، ومسلم فى الزكاة (١٠٥١/ ١٢٠) كلاهما عن أبى هريرة.

/ وقال شيخ الإسلام: ١٨/٣٣٠

فصـــل

جاء فى حديث «إن أكبر الكبائر الكفر والكِبْر» وهذا صحيح، فإن هذين الذنبين أساس كل ذنب فى الإنس والجن، فإن إبليس هو الذى فعل ذلك أولاً، وهو أصل ذلك. قال الله تعالى: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [ص: ٧٤]، وقال: ﴿إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤] وفى صحيح مسلم، عن ابن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يدخل النار من فى قلبه مثقال ذرة من إيمان، ولا يدخل الجنة من فى قلبه مثقال ذرة من كِبْر»[١] فجعل الكبر يُضَاد الإيمان.

وكذلك الشرك فى مثل قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ﴾ [النساء: ٤٨]، وقال ابن مسعود: قال رسول الله ﷺ: «من مات وهو لا يشرك بالله شيئًا دخل الجنة» قال: وأنا أقول: من مات وهو يشرك بالله شيئًا دخل النار[٢].

/ ثم من الناس من يجمع بينهما، ومنهم من ينفرد له أحدهما، والمؤمن الصالح عافاه الله منهما. فإن الإنسان؛ إما أن يخضع لله وحده، أو يخضع لغيره مع خضوعه له، أولا يخضع لا لله ولا لغيره. فالأول: هو المؤمن، والثانى: هو المشرك، والثالث: هو المتكبر الكافر. وقد لا يكون كافرًا فى بعض المواضع، والنصارى آفَتُهُم الشرك، واليهود آفتهم الكبر، كما قال تعالى عن النصارى: ﴿اتَّخذُوا أَحْبَارَهُمْ وَرُهْبَانَهُمْ أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ وَالْمَسِيحَ ابْنَ مَرْيَمَ وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا إِلَهًا وَاحِدًا لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ سُبْحَانَهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣١]، وقال عن اليهود: ﴿سَأَصْرِفُ عَنْ آيَاتِيَ الَّذِينَ يَتَكَبَّرُونَ فِي الأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ﴾ [الأعراف: ١٤٦]، ولهذا عوقبت اليهود بِضَرْب الذِّلَّة والمسكنة عليهم، والنصارى بالضلال والبدع والجهالة. ١٨/٣٣١

---

(١) مسلم فى الإيمان (٩١/ ١٤٨).

(٢) البخارى فى الجنائز (١٢٣٨)، ومسلم فى الإيمان (٩٢/ ١٥٠).

١٨/٣٣٢ / وقال شيخ الإسلام:

فصـــل

ومما يتعلق بالثلاث المهلكات والمنجيات التى ذكر أنه عند المهلكات عليك بخُوَيْصَة نفسك. أنه قال: «شُحٌّ مطاع، وهَوىً مُتَّبع»[1] فجعل هذا مطاعًا، وهذا متبعًا، وهذا ـ والله أعلم ـ لأن الهوى هوى النفس، وهو محبتها للشىء، وشهوتها له، سواء أريد به المصدر أو المفعول. فصاحب الهوى يأمره هواه، ويدعوه فيتبعه، كما تتبع حركات الجوارح إرادة القلب، ولهذا قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَتَّبِعُوا أَهْوَاءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا كَثِيرًا﴾ [المائدة: ٧٧]، وقال: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِّنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠].

وهذا يعم الهوى فى الدين، كالنصارى، وأهل البدع فى المقال والقَدَر. كما كان السلف يسمونهم أهل الأهواء، من الرافضة والخوارج. وهذا الهوى موجود فى كثير من الفقراء والفقهاء، إلا من عصمه الله.

١٨/٣٣٣ / وقد اختلف أصحابنا، هل يدخل الفقهاء المختلفون فى اسم أهل الأهواء. على وجهين، أدخلهم فى التقسيم القاضى أبو يَعْلَى، وكذلك قبله الشيخ أبو حامد الإسْفَرائينى فيما أظن، وأنكره ابن عقيل.

وأما «الشح المطاع» فقد ذكرنا أن مَفْسدته عائدة إلى منع الخير، وهذا فى الأصل ليس هو محبوبًا، وإنما يحمل عليه الحرص على المشحوح به، فإنه من باب النَّفَرة والبغض، فهو يأمر صاحبه فيطيعه، وليس كل مطاع متبعًا، وإن كان كل متبع مطاعًا، فإن الإنسان يطيع الطبيب والأمير وغيرهما فى أمور خاصة، وليس متبعًا لهم، أما التابع لغيره فهو مطيع وزيادة، فإنه يذهب معه حيثما ذهب.

وفرق ثان، أن المتبع الذى يطلب فى نفسه، فغاية المتبع إدراكه ونيله، وهذا شأن الهوى. وأما المطاع فغاية لغيره، وهذا شأن الشح.

وتحقيق معنى الشح: أنه شدة المنع التى تقوم فى النفس. كما يقال: شحيح بدينه،

(١) أبو نعيم فى حلية الأولياء ٢/ ٣٤٣، والبزار فى كشف الأستار (٨٠)، والطبرانى فى الأوسط (٥٤٥٢)، كلهم عن أنس بسند ضعيف. ورواه أبو نعيم فى حلية الأولياء ٣/ ٢١٩، والبزار فى كشف الأستار (٨٢)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ٩٦ وقال: «رواه البزار وفيه محمد بن عون الخراسانى وهو ضعيف» كلهم عن ابن عباس. ورواه الطبرانى فى الأوسط (٥٧٥٤)، وذكره الهيثمى فى مجمع الزوائد ١/ ٩٥ وقال: «رواه الطبرانى فى الأوسط وفيه ابن لهيعة ومن لا يعرف» كلاهما عن ابن عمر.

وضَنِين بدينه، فهو خلق فى النفس، والبخل من فروعه. كما فى الصحيحين عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ أنه قال: «إياكم والشُح فإن الشح أهلك من كان قبلكم، أمرهم بالبخل فبخلوا، وأمرهم بالظلم فظلموا، وأمرهم بالقطيعة فقطعوا»[١]، وكذلك فى حديث
عبد الرحمن بن عوف أنه كان يقول فى طوافه: رب قنى/ شح نفسى. فقيل له: ما أكثر ما ١٨/٣٣٤
تستعيذ من ذلك! فقال: إذا وقيت شح نفسى، وقيت الظلم والبخل والقطيعة، أو كما قال؛ ولهذا بين الكتاب والسنة أن الشح والحسد من جنس واحد فى قوله: ﴿**وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩]، فأخبر عنهم بأنهم يبذلون ما عندهم من الخير مع الحاجة، وأنهم لا يكرهون ما أنعم به على إخوانهم. وضد الأول البخل، وضد الثانى الحسد.

ولهذا كان البخل والحسد من نوع واحد، فإن الحاسد يكره عطاء غيره، والباخل لا يحب عطاء نفسه، ثم قال: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر: ٩]، فإن الشح أصل للبخل، وأصل للحسد، وهو ضيق النفس وعدم إرادتها وكراهتها للخير على الغير، فيتولد عن ذلك امتناعه من النفع، وهو البخل وإضْرَار المنعم عليه وهو الظلم، وإذا كان فى الأقارب كان قطيعة.

ولهذا فى حديث أبى هريرة الذى رواه. .[٢] النسائى من حديث محمد بن عَجْلان، عن سهيل بن أبى صالح، عن أبيه، عن أبى هريرة ـ رضى الله عنه ـ أن رسول الله ﷺ
قال: «لا يجتمع فى النار/ مسلم قتل كافرًا ثم سدد وقارب، ولا يجتمعان فى جوف مؤمن: ١٨/٣٣٥
غبار فى سبيل الله وفَيْحُ جهنم، ولا يجتمعان فى قلب عبد: الإيمان والحسد»[٣] ورواه النسائى أيضًا من حديث جرير[٤]، عن سهيل [عن صفوان][٥] بن أبى يزيد، عن القعقاع بن اللجلاج[٦]، عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يجتمع غبار فى سبيل الله ودخان

---

(١) أبو داود فى الزكاة (١٦٩٨)، وأحمد ٢/ ١٩١، ١٩٥، والحاكم فى المستدرك ١/ ٤١٥ وقال: «حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وأبو كثير الزبيدى من كبار التابعين» ووافقه الذهبى، وابن حبان فى موارد الظمآن (١٥٨٠)، وابن أبى شيبة فى مصنفه فى الأدب ٩/ ٩٧، كلهم عن عبد الله بن عمرو.
ولم نعثر عليه فى الصحيحين عن أبى هريرة، ولكن فى مسلم رواية عن جابر بن عبد الله فى البر والصلة (٢٥٧٨/ ٥٦) بلفظ مقارب.

(٢) خرم بالأصل.

(٣) النسائى فى الجهاد (٣١٠٩).

(٤) فى المطبوعة: «جماعة»، والمثبت من سنن النسائى.

(٥) ما بين المعقوفين بياض بالأصل، والمثبت من سنن النسائى.

(٦) فى المطبوعة: «واللحلاح»، والصواب ما أثبتناه من سنن النسائى.

obeikandl.com

جهنم فى جوف عبد أبدًا، ولا يجتمع الشح والإيمان فى قلب عبد أبدًا»[1].

. . .[2] فانظر كيف ذكر الشح فى الروايات المشهورة، وفى الأخرى والحسد، واللفظ الأول أجمع، وكيف قرن فى الحديث السماحة والشجاعة، كما قال فى الحديث الآخر: «شر ما فى المرء: شح هالع، وجبن خالع»[3] فمدح الشجاعة فى سبيل الله، وذم الشح. ونظير هذا قوله: «إن من الخيلاء ما يحبها الله، وهو اختيال الرجل بنفسه عند الحرب، وعند الصدقة» [4] وقصد من الحديث قوله: ﴿**وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**﴾ [الحشر:٩] فحصر المفلحين فيمن يوق شح نفسه، والشحيح الذى لا يحب فعل الخير، والذى يضر نفسه، ويكره النعمة على غيره.

---

(١) النسائى فى الجهاد (٣١١٠). (٢) بياض بالأصل.

(٣) أبو داود فى الجهاد (٢٥١١)، وأحمد ٢/ ٣٠٢، ٣٢٠.

وقوله: «هالع»: الهلع: أشد الجزع والضجر. انظر: النهاية ٥/ ٢٦٩.

وقوله: «خالع»: أى شديد، كأنه يخلع فؤاده من شدة خوفه، وهو مجاز فى الخلع. والمراد به ما يعرض من نوازع الأفكار وضعف القلب عند الخوف. انظر: النهاية ٢/ ٦٥.

(٤) أبو داود فى الجهاد (٢٦٥٩)، والنسائى فى الزكاة (٢٥٥٨)، وأحمد ٥/ ٤٤٥ كلهم عن جابر بن عتيك.

obeikandl.com

/ وسئل عن أحاديث:هل هى صحيحة؟وهل رواها أحد من المعتبرين بإسناد صحيح؟ ١٨/٣٣٦

وهى قوله: «أول ما خلق الله العقل قال له: أَقْبِل، فأقبل. ثم قال له: أَدْبِر، فأدبر. ثم قال: وعزتى وجلالى ما خلقت خلقًا أكرم علىَّ منك. بك آخذ، وبك أعطى؛ وبك أثيب، وبك أعاقب»(١). وقوله: «أمرت أن أخاطب الناس على قَدْر عقولهم»(٢). وهل هذا اللفظ هو لفظ حديث؟ أو فيه تحريف؟ أو زيادة أو نقص؟ وقوله: «إن الله مَنَّ علىَّ فيما مَنَّ علىَّ: أن أعطيتك فاتحة الكتاب، وهى من كنوز عرشى، قسمتها بينى وبينك نصفين»(٣). وقوله: «الناس شركاء فى ثلاث: الماء، والكلأ، والنار»(٤).

فأجاب:

أما الحديث الأول، فهو كذب موضوع عند أهل العلم بالحديث، ليس هو فى شىء من كتب الإسلام المعتمدة، وإنما يرويه مثل داود بن المحبر، وأمثاله من المصنفين فى العقل، ويذكره أصحاب «رسائل إخوان الصفا» ونحوهم من المتفلسفة، وقد ذكره أبو حامد فى بعض/ كتبه، وابن عربى، وابن سَبعين، وأمثال هؤلاء، وهو عند أهل العلم بالحديث كذب ١٨/٣٣٧
على النبى ﷺ، كما ذكر ذلك أبو حاتم الرازى، وأبو الفرج ابن الجوزى، وغيرهما من المصنفين فى علم الحديث.

ومع هذا فلفظ الحديث: «أول ما خلق الله العقل قال له: أقبل فأقبل، وقال له: أدبر، فأدبر، قال: ما خلقت خلقًا أكرم علىَّ منك، فبك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب، وبك العقاب»، وفى لفظ: «لما خلق الله العقل قال له: كذلك» ومعنى هذا اللفظ أنه قال للعقل فى أول أوقات خلقه،ليس فيه أن العقل أول المخلوقات،لكن المتفلسفة القائلون بقدم العالم

---

(١) ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ١٧٥ وقال : «هذا حديث لا يصح عن رسول الله ﷺ».

(٢) الديلمى فى الفردوس (١٦١١) عن ابن عباس، والسخاوى فى المقاصد الحسنة ص٩٣ وقال: «قد عزاه الحافظ ابن حجر لمسند الحسن بن سفيان من حديث ابن عباس، وسنده ضعيف جدًا»، والعجلونى فى كشف الخفاء ١/ ١٩٦.

(٣) البيهقى فى شعب الإيمان (٢٣٦٣)، والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ٥ وعزاه إلى ابن الضريس فى فضائل القرآن، والبيهقى فى الشعب، وكذا كنز العمال (٢٥٢٠) عن أنس.

(٤) أبو داود فى البيوع (٣٤٧٧)، وأحمد ٥/ ٣٦٤ كلاهما عن أبى خراش عن رجل من أصحاب النبى ﷺ. ورواه ابن ماجه فى الرهون (٢٤٧٢) عن ابن عباس، وفى الزوائد: «عبد الله بن خراش. قد ضعفه أبو زرعة والبخارى وغيرهما. وقال محمد بن عمار الموصلى: كذاب».

أتباع أرسطو، هم ومن سلك سبيلهم من باطنية الشيعة، والمتصوفة، والمتكلمة، رَوَوْهُ أول ما خلق الله العقل «بالضم»، ليكون ذلك حجة لمذهبهم، فى أن أول المبدعات هو العقل الأول، وهذا اللفظ لم يروه به أحد من أهل الحديث، بل اللفظ المروى ـ مع ضعفه ـ يدل على نقيض هذا المعنى، فإنه قال: «ما خلقت خلقًا أكرم على منك» فدل على أنه قد خلق قبله غيره، والذى يسميه الفلاسفة العقل الأول، ليس قبله مخلوق عندهم.

وأيضًا، فإنه قال: «بك آخذ، وبك أعطى، وبك الثواب، وبك العقاب»، فجعل به
١٨/٣٣٨ هذه الأعراض الأربعة، وعند أولئك المتفلسفة الباطنية،/أن جميع العالم صدر عن العقل الأول، وهو رب السموات والأرض وما بينهما عندهم، وإن كان مربوبًا للواجب بنفسه، وهو عندهم متولد عن الله، لازم لذاته، وليس هذا قول أحد من أهل الملل، لا المسلمين ولا اليهود، ولا النصارى ـ إلا مَنْ أَلْحَدَ منهم ـ ولا هو قول المجوس، ولا جمهور الصابئين، ولا أكثر المشركين، ولا جمهور الفلاسفة، بل هو قول طائفة منهم.

وأيضًا، فإن العقل فى لغة المسلمين عَرَض من ا عراض، قائم بغيره وهو غريزة، أو علم، أو عمل بالعلم، ليس العقل فى لغتهم جوهرًا قائمًا بنفسه، فيمتنع أن يكون أول المخلوقات عرضًا قائمًا بغيره، فإن العرض لا يقوم إلا بمحل، فيمتنع وجوده قبل وجود شىء من الأعيان، وأما أولئك المتفلسفة، ففى اصطلاحهم أنه جوهر قائم بنفسه، وليس هذا المعنى هو معنى العقل فى لغة المسلمين، والنبى ﷺ خاطب المسلمين بلغة العرب، لا بلغة اليونان، فعلم أن المعنى الذى أراده المتفلسفة لم يقصده الرسول، لو كان تكلم بهذا اللفظ، فكيف إذا لم يتكلم به؟!

وأما الحديث الثانى، وهو قوله: «أمرت أن أخاطب الناس على قدر عقولهم»[1] فهذا لم يروه أحد من علماء المسلمين الذين يعتمد عليهم فى الرواية، وليس هو فى شىء من
١٨/٣٣٩ كتبهم، وخطاب الله ورسوله للناس/ عام يتناول جميع المكلفين، كقوله: ﴿يا أَيُّهَا النَّاسُ﴾ [النساء: ١]، ﴿يا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا﴾ [البقرة: ١٠٤]، ﴿يا عِبَادِ﴾ [الزخرف: ٦٨] ﴿يا بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [البقرة: ٤٧] وكذلك النبى ﷺ كان يخاطب الناس على منبره بكلام واحد يسمعه كل أحد، لكن الناس يتفاضلون فى فهم الكلام بحسب ما يخص الله به كل واحد منهم من قوة الفهم، وحسن العقيدة.

ولهذا كان أبو بكر الصديق أعلمهم بمراده، كما فى الصحيحين، عن أبى سعيد: أن النبى ﷺ خطب الناس فقال: «إن عبدًا خَيَّره الله بين الدنيا والآخرة، فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر وقال: نفديك بأنفسنا وأموالنا، فجعل الناس يعجبون منه،

(١) سبق تخريجه ص ١٩١ .

ويقولون: عجبًا لهذا الشيخ! بكى أن ذكر رسول الله ﷺ عبدًا خيره الله بين الدنيا والآخرة، قال: فكان رسول الله ﷺ هو المخير. وكان أبو بكر أعلمنا به»[1] فالنبى ﷺ ذكر عبدًا مطلقًا لم يعينه، ولكن أبو بكر عرف عينه.

وما يرويه بعض الناس عن عمر، أنه قال: كان رسول الله ﷺ وأبو بكر يتحدثان، وكنت كالزِّنْجِيِّ بينهما فهذا كذب مختلق. وكذلك ما يروى أنه أجاب أبا بكر بجواب، وأجاب عائشة بجواب، فهذا كذب باتفاق أهل العلم.

(١) البخارى فى الفضائل (٣٦٥٤) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢ / ٢) .

obeikandl.com

١٨/٣٤٠ / سُئل عن هذه الأحاديث: «من طاف بهذا البيت أسبوعًا إيمانًا واحتسابًا غفر له ما قد سلف»[(١)]. وقوله ﷺ: «من وقف بعرفات، وظن أن الله لا يغفر له، لا غفر الله له» وأيضًا: «لو مر بعرفات راعى غنم ـ ولم يعلم أنه يوم عرفة ـ غفر له» وقوله ـ عليه السلام ـ: «من حج ولم يَزُرْنى فقد جفانى، ومن زارنى فقد وجبت له شفاعتى»[(٢)] هل هذه الأحاديث فى الصحيح أم لا؟ وما معنى قوله عز وجل: ﴿مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧].

فأجاب:

الحمد لله رب العالمين، ليس فى هذه الأحاديث حديث لا فى الصحيح، ولا فى السنن، وفيها ما معناه مخالف للكتاب والسنة، فإنه لو وقف الرجل بعرفات خائفًا من الله ألا يغفر له ذنوبه؛ لكونها كبائر، لم يقل: إن الله لا يغفر له، فإن الله لا يغفر أن يشرك به، ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، فما دون الشرك ـ إن شاء الله ـ غفره لصاحبه، وإن شاء لم يغفره، لكن إذا تاب العبد من الذنب غفره الله له؛ شركًا كان أو غير شرك. كما قال تعالى: ﴿يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى / أَنفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِن رَّحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا﴾ ١٨/٣٤ [الزمر: ٥٣]، فهذا فى حق التائب.

---

(١) الترمذى فى الحج (٩٥٩)، وقال: «حديث حسن»، وابن ماجه فى المناسك (٢٩٥٦)، وأحمد ٢/ ٩٥، والحاكم فى المستدرك ١/ ٤٨٩ وقال: «هذا حديث صحيح على ما بينته من حال عطاء بن السائب ولم يخرجاه»، والطبرانى فى الكبير ١٢/ ٣٩٢ كلهم عن ابن عمر بلفظ: «من طاف بهذا البيت أسبوعًا كانت له كعتق رقبة».

وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص٤١٧: «رواه الواحدى فى تفسيره، والجندى فى فضائل مكة، والديلمى فى مسنده عن جابر مرفوعًا بلفظ: «من طاف بهذا البيت أسبوعًا وصلى خلف المقام ركعتين وشرب من ماء زمزم غفرت له ذنوبه بالغة ما بلغت»، ولا يصح بهذا اللفظ وقد ولع به العامة كثيرًا لا سيما بمكة بحيث كتب على بعض جدرها الملاصق لزمزم وتعلقوا فى ثبوته بمنام وشبهه مما لا تثبت الأحاديث النبوية بمثله». وجاءت ألفاظ أخرى رواها الطبرانى فى الأوسط، والغزالى فى الإحياء، وابن حبان وغيرهم.

(٢) ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٧/ ١٤، وابن حبان فى المجروحين ٣/ ٧٣، وابن الجوزى فى الموضوعات ٢/ ٢١٧ وقال: «قال ابن حبان: النعمان يأتى عن الثقات بالطامات. وقال الدارقطنى: الطعن فى هذا الحديث من محمد بن محمد لا من النعمان»، وتنزيه الشريعة ٢/ ١٧٢ وقال: «قال الزركشى فى تخريج أحاديث الرافعى: «الحديث ضعيف وبالغ ابن الجوزى فذكره فى الموضوعات»، والسيوطى فى الدر المنثور ١/ ٢٣٧، والسخاوى فى المقاصد ص٤٢٧، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ٢٧٨.

وأيضًا، فالواقف بعرفات لا يسقط عنه ما وجب عليه من صلاة وزكاة بإجماع المسلمين، بل هم متفقون على أن الصلاة أوكد من الحج بمالا نسبة بينهما. فإن الحج يجب مرة فى العمر على المستطيع، والنبى ﷺ لم يحج بعد الهجرة إلا حَجَّةً واحدة، وأما الصلاة فإنها فرض على كل عاقل بالغ ـ إلا الحائض والنفساء ـ سواء كان صحيحًا، أو مريضًا، آمنًا، أو خائفًا، غنيًا أو فقيرًا، رجلا أو امرأة، فى اليوم والليلة نحو أربعين ركعة، سبعة عشر فريضة، والسنن الرواتب عشر ركعات، أو اثنتا عشرة ركعة، وقيام الليل إحدى عشرة ركعة، أو ثلاث عشرة ركعة، وكذلك حقوق العباد من الذنوب، والمظالم، وغيرها لا تسقط بالحج باتفاق الأئمة.

والحديث الذى يروى فى سقوط المظالم وغيرها بذلك فى حديث عباس بن مِرْدَاس حديث ضعيف. وقد ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ، أنه قال: «الصلوات الخمس، والجمعة إلى الجمعة، ورمضان إلى رمضان، كفارة لما بينهن، إذا اجْتُنِبَت الكبائر»[1] فهذه الأمور التى هى أعظم من الحج، ولكن الكبائر تكفرها التوبة منها بالكتاب والسنة، وإجماع الأمة.

/ وكذلك قوله: «من حج ولم يزرنى فقد جفانى»[2] كذب، فإن جفاء النبى ﷺ حرام، ٣٤٢/ ١
وزيارة قبره ليست واجبة باتفاق المسلمين، ولم يثبت عنه حديث فى زيارة قبره، بل هذه الأحاديث التى تروى: «من زارنى، وزار أبى فى عام واحد ضمنت له على الله الجنة»[3] ـ وأمثال ذلك كذب باتفاق العلماء.

وقد روى الدارقطنى، وغيره فى زيارة قبره أحاديث ، وهى ضعيفة.

وقد كره الإمام مالك ـ وهو من أعلم الناس بحقوق رسول الله ﷺ وبالسنة التى عليها أهل مدينته من الصحابة، والتابعين، وتابعيهم ـ كره أن يقال: زُرْتُ قبر رسول الله ﷺ، ولو كان هذا اللفظ ثابتًا عن رسول الله ﷺ معروفًا عند علماء المدينة، لم يكره مالك ذلك.

وأما إذا قال: سلمت على رسول الله ﷺ، فهذا لا يكره بالاتفاق، كما فى السنن عنه ﷺ، أنه قال: «ما من رجل يسلم علىَّ إلا رد الله علىَّ رُوحى حتى أرد عليه السلام»[4] وكان ابن عمر يقول: السلام عليك يا رسول الله، السلام عليك يا أبا بكر، السلام عليك يا أَبَت. وفى سنن أبى داود عنه، أنه قال: «أكثروا علىَّ من الصلاة يوم الجمعة، وليلة الجمعة، فإن صلاتكم معروضة علىَّ» قالوا: وكيف تعرض صلاتنا عليك، وقد أَرِمْتَ؟! قال: «إن الله حَرَّم على / الأرض أن تأكل لحوم الأنبياء»[5]. ٣٤٣/ ٨

(١) مسلم فى الطهارة (٢٣٣/ ١٦) عن أبى هريرة. (٢) سبق تخريجه ص ١٩٤ .
(٣) كشف الخفاء (٢/ ٢٥١) ، وقال النووى فى شرح المهذب فى آخر الحج : «موضوع لا أصل له » .
(٤) أبو داود فى المناسك (٢٠٤١) . (٥) أبو داود فى الصلاة (١٥٣١) .

وأما قوله تعالى: ﴿ومَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، فهذا من باب البيت. كما قال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ يَرَوْا أَنَّا جَعَلْنَا حَرَمًا آمِنًا وَيُتَخَطَّفُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ﴾ [العنكبوت: ٦٧]، وقال تعالى: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ . الَّذِي أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَآمَنَهُم مِّنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤]، وقال تعالى: ﴿أَوَ لَمْ نُمَكِّن لَّهُمْ حَرَمًا آمِنًا يُجْبَىٰ إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ﴾ [القصص: ٥٧]، فكانوا فى الجاهلية يقتل بعضهم بعضًا خارج الحرم، فإذا دخلوا الحرم، أو لَقِىَ الرجل قاتل أبيه لم يَهِجْهُ[1]، وكان هذا من الآيات التى جعلها الله فيه، كما قال: ﴿فِيهِ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ مَّقَامُ إِبْرَاهِيمَ وَمَن دَخَلَهُ كَانَ آمِنًا﴾ [آل عمران: ٩٧]، والإسلام زاد حرمته.

فمذهب أكثر الفقهاء أن من أصاب حدًا خارج الحرم، ثم لَجَأَ إلى الحرم لم يقم عليه الحد حتى يخرج منه، كما قال ابن عمر، وابن عباس. وهو مذهب أبى حنيفة، وأحمد، وغيرهما؛ لما ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال: «إن مكة حَرَّمها الله، ولم يحرمها الناس، فلا يحل لأحد يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دمًا، ولا يَعْضِدَ بها شجرًا، وإنها لم تحل لأحد قبلى، ولا تحل لأحد بعدى، وإنما أحلت لى ساعة من نهار، ثم قد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس»[2].

١٨/٣٤: / ومن ظن أن من دخل الحرم كان آمنًا من عذاب الآخرة، مع ترك الفرائض من الصلاة وغيرها، ومع ارتكاب المحارم، فقد خالف إجماع المسلمين، فقد دخل البيت من الكفار والمنافقين والفاسقين من هو من أهل النار بإجماع المسلمين. والله أعلم.

---

(١) يَهِجْه: من الهِيَاج بالكسر: القتال. انظر: القاموس المحيط، مادة «هوج».

(٢) البخارى فى العلم (١٠٤) ومسلم فى الحج (٤٤٦/١٣٥٤).

/ **سُئِلَ ـ رَضِى الله عَنْه : عن هذا الحديث: «من علمك آية من كتاب الله فكأنما ملك رِقَّك، إن شاء باعك وإن شاء أعتقك»، فهل هذا فى الكتب الستة، أو هو كذب على رسول الله ﷺ؟** ١٨/٣٤٥

فأجاب:

ليس هذا فى شىء من كتب المسلمين؛ لا فى الستة ولا فى غيرها، بل مخالف لإجماع المسلمين؛ فإن من عَلَّم غيره لا يصير به مالكاً، إن شاء باعه وإن شاء أعتقه، ومن اعتقد هذا فإنه يُسْتَتَاب، فإن تاب وإلا قتل. والحر المسلم لا يُسْتَرَق، وسيد مُعَلِّمَ الناس رسول الله ﷺ علمهم الكتاب والحكمة، وهو أولى بهم من أنفسهم، ومع هذا فهم أحرار لم يسترقهم ولم يستعبدهم، بل كان حكمه فى أمته الأحرار خلاف حكمه فيما ملكته يمينه، ولو كان المؤمنات ملكًا له لجاز أن يَطَأ كل مؤمنة بلا عقد نكاح، ولكَان لِمَنْ عَلَّم امرأة آية من القرآن أن يطأها بلا نكاح، وهذا لا يقوله مسلم.

obeikandl.com

١٨/٣٤٦ / سُئِلَ عن معنى قوله ﷺ: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا، وآمنه يوم الفزع الأكبر»[١].

فأجاب:

أما قوله: «من انتهر صاحب بدعة ملأ الله قلبه أمنًا وإيمانًا»، وقوله: «من وقَّرَ صاحب بدعة أعان على هَدْم الإسلام»[٢] ونحو ذلك، فهذا الكلام معروف عن الفُضَيْل بن عِيَاض.

والبدعة: ما خالفت الكتاب والسنة أو إجماع سلف الأمة من الاعتقادات والعبادات؛ كأقوال الخوارج والروافض والقدرية والجهمية، وكالذين يتعبدون بالرقص والغناء فى المساجد، والذين يتعبدون بحلق اللحى وأكل الحشيشة، وأنواع ذلك من البدع التى يتعبد بها طوائف من المخالفين للكتاب والسنة، والله أعلم.

---

(١) ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٢٧٠ وقال: «باطل موضوع»، والغزالى فى الإحياء ٢/ ١٨٤ وقال العراقى: «أخرجه أبو نعيم فى الحلية، والهروى فى ذم الكلام من حديث ابن عمر بسند ضعيف»، وتنزيه الشريعة ١/ ٣١٤، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ٢٣٥ قال: «قال القارى: موضوع».

(٢) ابن عدى فى الكامل فى ضعفاء الرجال ٢/ ٣٢٤، والطبرانى فى الأوسط (٦٧٧٢) عن عائشة، وأبو نعيم فى الحلية ٥/ ٢١٨عن عبد الله بن بسر، وابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٢٧١ وقال: «أحاديث كلها باطلة موضوعة»، والعراقى فى تخريج أحاديث إحياء علوم الدين ٢/ ٩٨، وتنزيه الشريعة ١/ ٣١٤.

/ سُئِلَ عمن سمع رجلا يقول : لو كنت فعلت كذا لم يَجْرِ عليك شيء من هذا. فقال له رجل آخر سمعه: هذه الكلمة قد نهى النبى ﷺ عنها، وهى كلمة تؤدى قائلها إلى الكفر، فقال رجل آخر: قال النبى ﷺ ـ فى قصة موسى مع الخضْر ـ: «يرحم الله موسى، وَددْنا لو كان صبر حتى يقص الله علينا من أمرهما»[1] واستدل الآخر بقوله ﷺ: «المؤمن القوى خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ـ إلى أن قال: ـ فإن كلمة لو تفتح عمل الشيطان»[2] فهل هذا ناسخ لهذا أم لا؟ ١٨/٣٤٧

فأجاب:

الحمد لله، جميع ما قاله الله ورسوله حق، و«لو» تستعمل على وجهين:

أحدهما: على وجه الحزن على الماضى والجزع من المقدور، فهذا هو الذى نهى عنه، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا / كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ﴾ [آل عمران: ١٥٦]، وهذا هو الذى نهى عنه النبى ﷺ، حيث قال: «وإن أصابك شىء فلا تقل: لو أنى فعلت لكان كذا وكذا، ولكن قل: قدر الله وما شاء فعل، فإن لو تفتح عمل الشيطان» أى: تفتح عليك الحزن والجزع، وذلك يضر ولا ينفع، بل اعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك، وما أخطأك لم يكن ليصيبك، كما قال تعالى: ﴿مَا أَصَابَ مِن مُّصِيبَةٍ إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ وَمَن يُؤْمِنْ بِاللَّهِ يَهْدِ قَلْبَهُ﴾ [التغابن: ١١]، قالوا: هو الرجل تصيبه المصيبة فيعلم أنها من عند الله فيرضى ويسلم. ١٨/٣٤٨

والوجه الثانى: أن يقال: «لو» لبيان علم نافع، كقوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا﴾ [الأنبياء: ٢٢]، ولبيان محبة الخير وإرادته، كقوله: «لو أن لى مثل ما لفلان لعملت مثل ما يعمل»[3] ونحوه جائز.

وقول النبى ﷺ: «وددت لو أن موسى صبر ليقص الله علينا من خبرهما»[4] هو من هذا

---

(١) البخارى فى التفسير (٤٧٢٥، ٤٧٢٧)، والترمذى فى تفسير القرآن (٣١٤٩) وقال: «حديث حسن صحيح» كلاهما عن أبى بن كعب.

(٢) مسلم فى القدر (٢٦٦٤/٣٤) . (٣) ابن ماجة فى الزهد (٤٢٢٨) . (٤) البخارى فى التفسير (٤٧٢٥) .

الباب، كقوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، فإن نبينا ﷺ أحب أن يقص الله خبرهما، فذكرهما لبيان محبته للصبر المترتب عليه، فعرفه ما يكون لما فى ذلك من المنفعة، ولم يكن فى ذلك جزع ولا حزن ولا ترك لما / يحب من الصبر على المقدور. ١٨/٣٤٩

وقوله: «وددت لو أن موسى صبر»، قال النحاة: تقديره وددت أن موسى صبر. وكذلك قوله: ﴿وَدُّوا لَوْ تُدْهِنُ فَيُدْهِنُونَ﴾ [القلم: ٩]، تقديره ودوا أن تُدهن، وقال بعضهم: بل هى «لو» شرطية وجوابها محذوف، والمعنى على التقديرين معلوم، وهو محبة ذلك الفعل وإرادته، ومحبة الخير وإرادته محمود، والحزن والجزع وترك الصبر مذموم، والله أعلم.

١٨/٣٥٠ **/ وسئل عن قصة إبليس وإخباره النبى ﷺ وهو فى المسجد مع جماعة من أصحابه، وسؤال النبى ﷺ له عن أمور كثيرة، والناس ينظرون إلى صورته عيانًا، ويسمعون كلامه جهراً. فهل ذلك حديث صحيح، أم كذب مختلق؟ وهل جاء ذلك فى شىء من الصحاح والمسانيد والسنن، أم لا؟ وهل يحل لأحد أن يروى ذلك؟ وماذا يجب على من يروى ذلك ويحدثه للناس ويزعم أنه صحيح شرعى؟**

فأجاب:

الحمد لله. بل هذا حديث مكذوب مختلق ليس هو فى شىء من كتب المسلمين المعتمدة، لا الصحاح ولا السنن ولا المسانيد. ومن علم أنه كذب على النبى ﷺ لم يحل له أن يرويه عنه، ومن قال: إنه صحيح فإنه يعلم بحاله، فإن أصر عوقب على ذلك، ولكن فيه كلام كثير قد جمع من أحاديث نبوية، فالذى كذبه واختلقه جمعه من أحاديث بعضها كذب وبعضها صدق؛ فلهذا يوجد فيه كلمات متعددة صحيحة؛ وإن كان أصل الحديث وهو مجىء إبليس عيانًا إلى النبى ﷺ بحضرة أصحابه وسؤاله له كذبًا مختلقًا لم ينقله أحد من علماء المسلمين، والله ـ سبحانه وتعالى ـ أعلم.

/ وقال ـ رحمه الله تعالى : ١٨/٣٥١

إن كتاب «تنقلات الأنوار» المنسوب إلى أحمد بن عبد الله البكرى من أعظم الكتب كذبًا وافتراء على الله ورسوله وعلى أصحاب رسول الله ﷺ، وقد افترى فيه من الأمور من جنس ما افتراه المفترون فى سيرة دلهمة والبطال، وسيرة عنترة، وحكايات الرشيد ووزيره جعفر البَرْمكِى؛ وحكايات العيارين. مثل: الزئبق المصرى، وأحمد الدنق، ونحو ذلك. لكن هؤلاء يفترون الكذب على من ليس من الأنبياء؛ وصاحب الكتاب الذى سماه «تنقلات الأنوار» يفترى الكذب على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه، ويكذب عليه كذبًا لا يعرف أن أحدًا كذب مثله فى كتاب، وإن كان فى بعض ما يذكره صدق قليل جدًا، فهو من جنس ما فى سيرة عنترة والبطال، فإن عنترة كان شاعرًا فارسًا من فرسان الجاهلية، وله شعر معروف، وقصيدته إحدى السبع المعلقات، لكن افتروا عليه من الكذب ما لا يحصيه إلا الله، وكل من جاء زاد ما فيها من الأكاذيب.

/ وكذلك أبو محمد البطال كان من أمراء المسلمين المعروفين، وكان المسلمون قد غزوا ١٨/٣٥٢
القسطنطينية غزوتين:

الأولى: فى خلافة معاوية، أمر فيها ابنه يزيد، وغزا معه أبو أيوب الأنصارى، الذى نزل النبى ﷺ فى داره لما قدم مهاجرًا إلى المدينة، ومات أبو أيوب فى تلك الغزوة ودُفن إلى جانب القسطنطينية، وقد روى البخارى فى صحيحه، عن ابن عمر، عن النبى ﷺ، أنه قال: «أول جيش يغزو القسطنطينية مغفور له»[1].

والغزوة الثانية: فى خلافة عبد الملك بن مروان، أمَّرَ ابنه مَسْلَمة أو خلف الوليد ابنه، وأرسل معه جيشًا عظيمًا وحاصروها وأقاموا عليها مدةً سنين، ثم صالحوهم على أن يدخلوها، وبنوا فيها مسجدًا، وذلك المسجد باقٍ إلى اليوم، فجاء الكذابون فزادوا فى سيرة البطال وعبد الوهاب من الأكاذيب ما لا يحصيه إلا الله، وذكر دلهمة والقاضى عَقِبه، وأشياء لا حقيقة لها.

والبكرى صاحب «تنقلات الأنوار» سلك مسلك هؤلاء المفترين الكذابين، لكن كذبه على رسول الله ﷺ وعلى أصحابه -أفضل الخلق بعد النبيين- أكثر، وفيه من أنواع الأكاذيب المفتريات، وغرائب الموضوعات ما يَجِلُّ عن الوصف، مثل حديث السبع حصُون،/ وهضام بن جحاف، ومثل حديث الدهر، ورأس الغول، وكلندجة، وغير ذلك ١٨/٣٥٣

(١) البخارى فى الجهاد (٢٩٢٤) عن أم حرام بلفظ: «مدينة قيصر» بدلاً من «القسطنطينية».

من كتبه، وغير ذلك من ذكر أماكن لا وجود لها، وغزوات لا حقيقة لها، وأسماء ومسميات لا يعرفها أحد من أهل العلم، ورواية أحاديث تخالف كتاب الله وسنة رسوله وإجماع المسلمين، وتخالف ما تواتر عن النبى ﷺ.

وفيها من الأقوال والأفعال المضافة إلى النبى ﷺ وأصحابه ما برأه الله منه، وهى من جنس أحاديث الزنادقة النصيرية وأشباههم، الذين يختلقون ما فيه غلو فى علىٍّ وغيره، وفيه من القدح فى دين الإسلام والإفساد له ما يوجب إباحة دم من يقول ذلك، وإن كان جاهلاً استتيب، فإن تاب وإلا قتل.

وأقل ما يفعل بمن يروى مثل هذا أن يعاقب عقوبة تردعه عن مثل ذلك، وكذلك يستحق العقوبة من يكْرِيها لمن يقرأها ويصدق ما فيها، ومن ينسخها ـ أيضًا ـ كذلك.

ويجب على أهل العلم إظهار ما يعلمون من كذب هذه وأمثالها، فكما يجب بيان كذب ما نقل عنه فى الأحاديث كأحاديث البخارى يجب بيان كذب ما كذب عليه من الأحاديث الموضوعة التى يعلم أنها كذب، كما بين أهل العلم من حال من كان يكذب عليه من الرواة
١٨/٣٥٤ /وبيان ما نقل عنه من الكذب الذى يعلمون أنه كذب، وكثير من الموضوعات إنما يعلم أنها موضوعة خَوَاصُّ أهل العلم بالأحاديث، وأما مثل ما فى «تنقلات الأنوار» من الأحاديث فهو مما يعلمه من له أدنى علم بأحوال الرسول ومغازيه أنه كذب. وعلى ولاة الأمور عقوبة من يروى هذه أو يعين على ذلك بنوع من أنواع الإعانة، ولولى الأمر أن يحرقها، فقد حرق عثمان ـ رضى الله عنه ـ كتبًا هذه أولى بالتحريق منها، والله أعلم.

/ ما تقوله السادة العلماء ـ رضى الله عنهم أجمعين ـ فى أناس ١٨/٣٥٥
قصاصين؟ ينقلون مغازى النبى ﷺ، وقصص الأنبياء ـ عليهم السلام ـ تحت القلعة، وفى الجوامع والأسواق، ويقولون: إن النبى أتى إليه ملك يقال له: حبيب، فقال له: إن كنت رسول الله فإنا نريد أن القمر ليلة تسعٍ وعشرين يعود وينزل من طوقك ويطلع من أكمامك، فأراهم ذلك،فآمنوا به جميعهم وقال: كانوا الرب.

ويقولون: إنه أتى إليه ملك يقال له: بشير بن غَنَّام عمل عليه حيلة وأخذ منه تسع أنفس علقهم على النخل، فبعث النبى ﷺ عليًا فخلصهم، وكان من جملتهم خالد.

وأتى إليه ملك وهو فى مكة يقال له: الملك الدحاق، وكانت له بنت اسمها حَمَانَةَ فكسر النبى ﷺ وزوج بنته لبلال، فقتله وهو فى الصلاة، فحط النبى ﷺ بردته فأحياه الله له.

/ وأنه بعث المقداد إلى ملك يقال له: الملك الخَطَّار، فالتقى فى طريقه ملكة يقال لها: ١٨/٣٥٦
روضة، فتزوج بها، وراح إلى الملك الذى أرسل إليه فاقتتل هو وإياه فأسره، وجاء إلى النبى ﷺ، وقاتل فى غزاة تبوك بُولص بن عبد الصليب، وأنه قاتل فى الأحزاب وكانوا ألوفًا، وانكسرت الأحزاب قُدَّام علىٍّ سبع عشرة فرقة، وخلف كل واحدة رجل يضرب بالسيف ويقول: أنا على ـ وليه ـ ضرب عمرو بن العامرى فقطع فخذه، فأخذ عمرو فخذه وضرب بها فى المسلمين فقلع شجرة وقتل بها جماعة منهم، والملائكة ضجت عند ذلك وقالوا: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا على.

وأن عليًا قاتل الجن فى البئر، ورماه بالمنجنيق إلى حصن الغراب، وجاءت رَمْيَته ناقصة فمشى فى الهواء، وأنه ضرب مَرْحَب اليهودى، وكان على رأسه جُرْن رُخَام فقسم له وللفرس نصفين، وأنه عبر العسكر على زِنْده إلى خيبر وهد الحصن، وأن ذا الفقار أنزل إليه من السماء، فإن الله سماه من السماء، وقَالَ: على أسبق من العجل، وأنه بعث مع كل نبى سرًا وبعث مع النبى جهرًا، وأنه كان عصا موسى وسفينة نوح وخاتم سليمان، وأنه شرب من سُرِّة النبى ﷺ لما مات، فوزن علم الأولين والآخرين.

وأن ملك الموت جاء إلى النبى ﷺ فى زىٍّ أعرابى،/ فقال له النبى: قابض أم زائر؟ فقال ١٨/٣٥٧
له: ما زرت أحدًا من قبلك حتى أزورك، فأعطاه تفاحة، فشمها، فخرجت روحه فيها، وأن فاطمة بكت عليه حتى أقلقت أهل المدينة حتى أخرجوها إلى بيوت الأحزان، وينقلون

قصص الأنبياء من جنس هذا السؤال، ويفسرونها بآيات لم تسمع من أهل العلم، وكل واحدة من هذه تحزبوا فيها ليلة.

وكان بعض العلماء قد منعهم من هذا النقل، وأنهم لا ينقلون إلا من كتب عليها سماعات المشايخ أهل العلم، فاعتمدوا على كتب فيها من جنس ما ذكر من تصنيف رجل يقال له: البكرى، فما يجب عليهم فى مثل هذه الأمور؟ لأنهم ينقلون ما يخالف ما ثبت عن الرسل -عليهم السلام- وينقلون فى بعض الأشياء ما هو تنقيص بهم، وهل يثاب من أمر بمنعهم؟

وينقلون ـ أيضًا ـ: أن الله قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت. فخلق الله من كل قطرة نبيًا، وكانت القبضة النبى وبقى كوكب درى، وكان نورًا منقولاً من أصلاب الرجال إلى بطون النساء.

فأجاب شيخ الإسلام، قدوة الإيمان، تقى الدين أبو العباس أحمد ابن عبد الحليم بن عبد السلام بن تيمية الحرانى، فقال:

١٨/٣٥٨ / الحمد لله رب العالمين، هذه الأحاديث من الأحاديث المفتراة باتفاق أهل العلم، وإنما تؤخذ مثل هذه الأحاديث من مثل «تنقلات الأنوار» للبكرى وأمثاله ممن روى الأكاذيب الكثيرة.

أما الأول، فإن القمر لم يدخل فى طوق النبى ﷺ ولا ثيابه ولا باشر النبى ﷺ، ولكن انشق فرقتين: فرقة دون الجبل، وفرقة فوق الجبل.

وكذلك حبيب أبى مالك لا وجود له، والحديث المذكور عن بشير بن غنام -أيضًا- كذب، وهذا الاسم غير معروف. وخالد بن الوليد لم يؤسر أصلاً، بل أسلم بعد الحديبية، وما زال منصورًا فى حروبه.

وكذلك ما ذكر عن المسمى بالملك الدحاق كذب ، وهذا الاسم لا وجود له فيمن حاز به النبى ﷺ عاش، ولكن الذين عاشوا بعد الموت فى هذه الأمة كان بينهم طائفة فى زمن الصحابة والتابعين، وأما من أحيا الله له دابته بعد الموت من المؤمنين فهؤلاء بعضهم كان من المسلمين على عهد النبى ﷺ، ومنهم من كان بعد موته ﷺ.

١٨/٣٥٩ / وكذلك ما ذكر عن الملك المسمى بالخطار، هو من الأكاذيب ولا وجود له. وأما غزاة تبوك فلم يكن بها قتال، بل قدم النبى ﷺ بالشام رومهم وعربهم، وغيرهم، ولم يجتمع

المسلمون فى غزاة مع النبى ﷺ أكثر مما اجتمع معه عام تبوك، وهى آخر المغازى، وأقام بتبوك عشرين يومًا فلم تقدم عليه النصارى.

وكذلك الأحزاب، لم يكن فيها اقتتال بين الجيشين، بل كان الأحزاب محاصرين للمسلمين خارج الخندق الذى حفره المسلمون حول المدينة، وكان المسلمون داخل الخندق، وكان فيها مناوشة قليلة بين بعض المسلمين وبعض الكفار بمنزلة المبارزة أو ما يشبهها، وقتل على ـ رضى الله عنه ـ عمرو بن عبد ود العامرى، ولم تنكسر الأحزاب بقتال، ولا قتل منهم ولا من المسلمين عدد له قدر، بل أرسل الله عليهم الريح ـ ريح الصبا ـ وأرسل الملائكة، كما قال تعالى فى قصة الأحزاب: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَّمْ تَرَوْهَا** . .﴾ الآيات [الأحزاب: ٩]، وما ذكر من كيفية قتل عمرو بن عبد ود العامرى فهو كذب، وكذلك ضرب عمرو بن عبد ود الشجرة بفخذه وقلعها كذب، ولم يكن هناك شجر وإنما النخيل كان بعيدًا من العسكر.

وكذلك ما ذكر من مناداة المنادى بقوله: «لا سيف إلا ذو / الفقار، ولا فتى إلا على»[1] كذب مفترى، وكذلك من نقل أن ذلك كان يوم بدر أو غيره، وذو الفقار لم يكن سيفًا لعلى، ولكن كان سيفًا لأبى جهل، غنمه المسلمون منه يوم بدر، وكان سيفًا من السيوف المعدنية، ولم ينزل من السماء سيف، ولم يكن سيف يطول لا هو ولا غيره. ١٨/٣٦٠

وكذلك ما ذكره من قتال الجن، وأن عليًا أو غيره من الإنس قاتلهم فى بئر ذات العلم أو غيره من الإنس، فهذا كله كذب، والجن لم تكن لتقاتل الصحابة أصلاً، ولكن الجن الكفار كانوا يقاتلون الجن المؤمنين، وأما على وأمثاله من الصحابة فهم أجلُّ قدرًا من أن يثبت الجن لقتالهم. وقد ثبت فى الصحيح أن النبى ﷺ قال لعمر بن الخطاب: «ما رآك الشيطان سالكًا فجًا إلا سلك فجًا غير فجك»[2].

وما ذكر من رمى على فى المنجنيق، ومحاصرة المسمى بحصن الغراب، كله كذب مفترى، ولم يرم المسلمون قط أحدًا فى منجنيق إلى الكفار لا عليًا ولا غيره، بل ولم

---

(١) ابن الجوزى فى الموضوعات ١/ ٣٨٢ وقال: «هذا حديث لا يصح، والمتهم به عيسى بن مهران. قال ابن عدى: حدث بأحاديث موضوعة وهو محترف فى الرفض». وكنز العمال (١٤٢٤٢)، والسخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٤٦٦ وقال: «هو فى أثر واه عند الحسن بن عرفة فى جزئه الشهير قال: حدثنى عمار بن محمد عن سعد بن طريف الحنظلى عن أبى جعفر محمد بن على الباقر أنه قال: نادى ملك من السماء يوم بدر يقال له رضوان: لا سيف، وذكره» والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ٣٦٣.

(٢) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٨٣)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٩٦/ ٢٢) كلاهما عن سعد بن أبى وقاص.

وقوله: «فجا»: الفج: الطريق الواسع، وجمعها فجاج. انظر: النهاية ٣/ ٤١٢.

ينصب المسلمون على عهد النبى ﷺ منجنيقًا إلا على الطائف لما حاصرها النبى ﷺ بعد وقعة حنين وهزيمة هوازن، حاصر الطائف ونصب المنجنيق وأقام عليها شهرًا، ولم تفتح حتى أسلم أهل الطائف بعد ذلك طوعًا، ولما كان/المسلمون يقاتلون مسيلمة الكذاب ١٨/٣٦
وأصحابه ألجؤوهم إلى حديقتهم، فحمل الناس البراء بن مالك حتى ألقوه إليهم داخل السور، ففتح لهم الباب.

وأما قصة مرحب فقد روى فى الصحيح: أن عليًا ـ رضى الله عنه ـ قتل مرحبًا[1]، وروى فى الصحيح أن محمد بن مسلمة قتل مرحبًا[2] وقال بعضهم: بل إحدى الروايتين غلط.

وأما كون البَيْضَة التى على رأسه كانت جُرْن رخام فكذب، وكذلك كون الضربة قسمت الفارس وفرسه ونزلت إلى الأرض، فهذا كله كذب، ولم ينقل مثل هذا أهل العلم بالمغازى والسير، وإنما ينقله الجهال والكذابون.

وأظهر من ذلك عبور العسكر على ساعد على، ومرور البغلة، ودعاء على عليها بقطع النسل؛ فإن هذا وأمثاله إنما يرويه من هو من أجهل الناس بأحوال الصحابة، ومن هو من أجهل الناس بأحوال الوجود؛ فإن البغلة مازالت عقيمًا، وعسكر خيبر لم يكن فيه بغلة أصلاً، ولم يكن مع المسلمين بغلة ولا فى المدينة بغلة ولا حولها من أرض العرب بغلة، إلا البغلة التى أهداها المقوقس صاحب مصر للنبى ﷺ، وكان أهداها له بعد خيبر؛ فإنه ﷺ لما صالح أهل الحديبية رجع منصرفًا /ففتح الله عليهم خيبر، ثم رجع وأرسل إلى الملوك ١٨/٣٦١
رسله، فأرسل إلى كسرى، وقيصر، والمقوقس، وملوك العرب بالشام واليمن واليمامة والمشرق، ولكن المعروف عند أهل العلم أن عليًا قلع باب خيبر.

وما ذكر من نزول ذو الفقار من السماء كذب، وقد تقدم أنه كان سيفًا من سيوف أبى جهل غنمه المسلمون يوم بدر منه، فأما على فقد سماه أبوه بهذا الاسم قبل أن يبعث الله محمدًا بالنبوة، وقبل أن يثبت لأحد حكم الإسلام؛ لا من الرجال، ولا من الصبيان.

وأما قول القائل: إنه كان عصى موسى وسفينة نوح وخاتم سليمان، فهذا لا يقوله عاقل يتصور ما يقول، وهو بكلام المجانين أشبه منه بكلام العقلاء، وهذا لا يقصد أحد مدح على به إلا لفرط فى الجهل، فإن عليًا -هو من دونه من الصحابة- أشرف قدرًا عندالله من هذه الجمادات، وإن كانت العصى آية لموسى، فليس كل ما كان معجزة لنبى أفضل من المؤمنين، بل المؤمنون أفضل من الطير الذى كان المسيح يصوره من الطين، فينفخ فيه فيكون طيرًا بإذن الله، وأفضل من الجراد والقمل والضفادع والدم الذى كان آية لموسى، وأفضل من العصى والحية، وأفضل من ناقة صالح. فمن ظن أنه بهذا الكذب والجهل يمدح

(١) مسلم فى الجهاد (١٨٠٧/١٣٢) عن سلمة. (٢) البيهقى فى دلائل النبوة ٤/٢١٦.

عليًا كان جهله من المدح والثناء من جنس جهله بأن هذه الجمادات لم تكن آدميين قط.

١٨/٣٦٣ / وأما قول القائل: إنه شرب من سرة النبى ﷺ فَدَرَى علم الأولين والآخرين، فهو - أيضاً - من الأكاذيب، فإن العلم الذى تعلم علىٌّ من النبى ﷺ كان حاصلا قبل موته، وما رزقه اللّه من الفهم والسماع وزيادة العلم بعد موته فلم يكن سببه شرب ماء السرة، ولا شرب أحد علي نبى ولا غير نبى فحصل له بذلك علم أصلا، ولا كان أحد من الصحابة؛ لا أبو بكر ولا عمر ولا عثمان ولا على ولا غيرهم يعلم علم الأولين والآخرين.

وقد ثبت للصحابة ـ رضى اللّه عنهم ـ من الفضائل الثابتة فى الصحاح ما أغنى اللّه بها عن أكاذيب المفترين، مثل قوله ـ الذى صح عنه من غير وجه ـ: «لو كنت متخذاً من أهل الأرض خليلا لاتخذت أبا بكر خليلا»[١] وقوله: «لا يبقين فى المسجد خَوْخَةٌ إلا سدت إلا خَوْخَةَ أبى بكر»[٢] وقوله: «إن أَمَنَّ الناس علينا فى صحبته وذات يده أبو بكر»[٣] وقوله: «أيها الناس إنى أتيت إليكم، فقلت: إنى رسول اللّه إليكم، فقلتم: كذبت، وقال أبو بكر: صدقت، فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ فهل أنتم تاركو لى صاحبى؟ فهل أنتم تاركو لى صاحبى»[٤] وقوله ـ فى مرضه الذى توفى فيه ـ: «مُرُوا أبا بكر فليصل بالناس»[٥] مرة بعد مرة، ومثل قوله لعائشة: «ادْعِى لى أباك وأخاك حتى أكتب كتابا لأبى بكر لا يختلف الناس من بعدى» ثم قال: «يأبى اللّه / والمؤمنون إلا أبا بكر»[٦]؛ وأمثال ذلك. ١٨/٣٦٤

ومثل قوله: «إنه كان فى الأمم قبلكم مُحَدَّثون؛ فإن يكن فى أمتى أحد فعمر»[٧]، وقوله لعمر: «ما رآك الشيطان سالكا فجا إلا سلك فجا غير فجك»[٨]، وقوله: «رأيت كأنى أتيت بإناء من لبن، فشربت، ثم ناولت فَضْلِى عمر، قالوا: فما أولته؟ قال: العلم»[٩]، وقوله: «رأيت كأن الناس يعرضون على وعليهم قُمُصٌ، منها ما بلغ الثدى، ومنها ما يبلغ دون ذلك، وعرض على عمر وعليه قميص يجره قالوا: فما أولته؟ قال: الدين»[١٠]، وقوله: «رأيت كأنى على قَلِيب أنتزع منها، فأخذها ابن أبى قحافة فنزع ذَنُوباً أو ذنوبين وفى نزعه ضعف واللّه يغفر له، ثم أخذها ابن الخطاب فاستحالت غربا،

---

(١) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٥٦ـ ٣٦٥٨) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٣/ ٣ـ٧).
(٢) البخارى فى مناقب الأنصار (٢٩٠٤) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٢/ ٢).
(٣) انظر الحديث السابق. (٤) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٦١).
(٥) البخارى فى الأذان (٦٧٨، ٦٧٩، ٦٨٢) ومسلم فى الصلاة (٤١٨/ ٩٤).
(٦) مسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٨٧/ ١١).
(٧) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٨٩) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٩٨/ ٢٣).
(٨) سبق تخريجه ص ٢٠٥.
(٩) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٨١) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٩١ / ١٦).
(١٠) البخارى فى الإيمان (٢٣) وفى فضائل الصحابة (٣٦٩١)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٣٩٠/ ١٥) كلاهما عن أبى سعيد الخدرى.

فلم أر عبقريا يَفْرى فَرِيَّهُ، حتى صدر الناس بِعَطَنٍ»[١].

وأمثال ذلك، مثل قوله عن عثمان: «ألا أستحى ممن تستحيى منه ملائكة السماء»[٢]، وقوله: «من يشترى بئر رُومَة وله الجنة»[٣] فاشتراها عثمان، وقوله فى عثمان ـ لما جهز جيش العسرة ـ: «ماضرَّ عثمان ما فعل بعد اليوم»[٤]، وقوله ـ يوم بيعة الرضوان لما بايع المسلمين تحت الشجرة ـ: «هذه يدى عن يمين عثمان»[٥]، وكان قد بعثه رسولا إلى أهل مكة، وقال ابن عمر: كنا نقول على عهد رسول اللّه ﷺ: أبو بكر، ثم عمر، ثم عثمان[٦]. وأمثال ذلك.

/ومثل قوله عام خيبر: «لأعطيَنَّ الراية ـ غداً ـ رجلا يحب اللّه ورسوله، ويحبه اللّه ورسوله، يفتح اللّه على يديه»[٧]، وكان على غائباً بالمدينة؛ لأنه كان أَرْمَد، فلحق بالنبى ﷺ، فلما أصبح، قدم على فأعطاه الراية حتى فتح اللّه على يديه، ولما خرج فى غزوة تبوك بجميع الناس ولم يأذن فى التخلف إلا لأهل العذر واستخلف علياً على المدينة، فطعن فيه بعض المنافقين، فلحقه على وهو يبكى، وقال: أتخلفنى مع النساء والصبيان؟ فقال: «أما ترضى أن تكون منى بمنزلة هارون من موسى؟ غير أنه لا نبى بعدى»[٨]، وأَدَارَ كساءه على علىٍّ وفاطمة وحسن وحسين فقال: «اللهم هؤلاء أهل بيتى فأذهب عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً»[٩]، ولما أراد أن يُبَاهِلَ أهل نجران أخذ عليا وفاطمة وحسناً وحسيناً وخرج ليباهل بهم، ولما تنازع على وجعفر وزيد فى حضانة ابنة حمزة قضى بها لخالتها وكانت تحت جعفر، وقال لجعفر: «أشبهت خَلْقى وخُلُقى»[١٠]، وقال لعلى: «أنت سنى وأنا منك»[١١]، وقال لزيد: «أنت أخونا ومولانا»[١٢]. ١٨/٣٦٠

وكذلك قال: «إن الأشعريين إذا أَرْمَلُوا فى السفر أو قَلَّت نفقة عيالهم بالمدينة جمعوا ما

---

(١) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٨٢)، ومسلم فى فضائل الصحابة (١٩/٢٣٩٣) كلاهما عن عبد الله بن عمر.
وقوله: «يَفْرى فَرِيَّهُ»: أى يعمل عمله ويقطع قطعه. انظر: النهاية ٣/ ٤٤٢.
وقوله: «حتى صَدر الناس بعَطَن»: العَطَن: مَبْرك الإبل حول الماء، وضرب ذلك مثلا لاتساع الناس فى زمن عمر، ومافتح الله عليهم من الأمصار. انظر: النهاية ٣/ ٢٥٨.
(٢) مسلم فى فضائل الصحابة (١/٢٤٠١/٢٦)، (٢٥٠٠/١٦٧).
(٣) البخارى فى الوصايا (٢٧٧٨) بلفظ: «من حفر رومة فله الجنة» والترمذى فى المناقب من حديث طويل (٣٧٠٣) وقال: «هذا حديث حسن».
(٤) الترمذى فى المناقب (٣٧٠١) وقال: «هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه» وأحمد ٥/ ٦٣.
(٥) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٩٨)، والترمذى فى المناقب (٣٧٠٦) كلاهما عن ابن عمر.
(٦) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٦٩٧).
(٧) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٧٠٢) ومسلم فى فضائل الصحابة (٣٤/٢٤٠٦)، (٣٥/٢٤٠٧).
(٨) البخارى فى المغازى (٤٤١٦) ومسلم فى فضائل الصحابة (٣١/٢٤٠٤).
(٩) مسلم فى فضائل الصحابة (٦١/٢٤٢٤) والترمذى فى المناقب (٣٨٧١) وقال: «هذا حديث حسن».
(١٠) البخارى فى الصلح (٢٦٩٩) والترمذى فى المناقب (٣٧٦٥) وقال: «هذا حديث حسن صحيح».
(١١) البخارى فى فضائل الصحابة معلقا (٧/ ٧٠).
(١٢) البخارى فى الصلح (٢٦٩٩) عن البراء، وأحمد ١/ ١١٥ عن على بن أبى طالب.

كان معهم فى ثوب واحد ثم قسموه بالسوية، هم منى وأنا منهم»[1].

وقال: «إن لكل أمة أميناً وأمين هذه الأمة أبو عبيدة بن الجراح»[2].

/ وقال: «إن لكل نبى حواريين وحواريى الزبير»[3]. ١٨/٣٦٦

فهذه الأحاديث وأمثالها فى الصحاح فيها غنية عن الكذب.

وكذلك ما ذكر من إتيان ملك الموت فى صورة أعرابى، وإعطاؤه إياه تفاحة فشمها، هو ـ أيضاً ـ من الكذب ، بل الحديث الطويل الذى روى فى قصة موت النبىﷺ، وأنه طرق الباب فخرج إليه واحد بعد واحد، وأنهم لما عرفوا أنه ملك الموت خضعوا له، هو ـ أيضًا ـ من الكذب باتفاق أهل المعرفة بالحديث. مع أنه قد رواه الطبرانى من حديث عبد المنعم بن إدريس، عن أبيه من حديث وهب بن منبه، عن ابن عباس، وعبد المنعم هذا معروف بالأكاذيب[4].

وكذلك ما ذكر من بكاء فاطمة على النبى ﷺ ، حتى أقلقت أهل المدينة وأخرجوها إلى بيوت الأحزان، هذا ـ أيضاً ـ من الأكاذيب المفتراة، وما يروى مثل هذا إلا جاهل، أو من قصده أن يسب فاطمة والصحابة ـ رضى اللّه عنهم ـ ينقل مثل هذا الفعل الذى نزه اللّه فاطمة والصحابة عنه.

وكذلك ما ذكر من «أن اللّه قبض من نور وجهه قبضة ونظر إليها فعرقت ودلقت، فخلق من كل قطرة نبيا، وأن القبضة كانت/ هى النبى ﷺ ، وأنه بقى كوكب درى» فهذا ـ أيضاً ـ كذب باتفاق أهل المعرفة بحديثه. ١٨/٣٦٧

وكذلك ما يشبه هذا، مثل أحاديث يذكرها شِيرَوَيْه الدَّيْلَمِى فى كتابه «الفردوس» ويذكرها ابن حَمَوَيْه فى حقائقه، مثل: كتاب «المحبوب» ونحو ذلك، مثل ما يذكرون أن النبى ﷺ كان كوكباً، أو أن العالم كله خلق منه، أو أنه كان موجوداً قبل أن يخلق أبواه، أو أنه كان يحفظ القرآن قبل أن يأتيه به جبريل! وأمثال هذه الأمور، فكل ذلك كذب مفترى باتفاق أهل العلم بسيرته.

والأنبياء كلهم لم يُخْلَقُوا من النبى ﷺ ، بل خلق كل واحد من أبويه ونفخ اللّه فيه الروح، ولا كان كلما يُعْلم اللّه لرسله وأنبيائه بوحيه يأخذونه بواسطة سوى جبريل، بل تارة يكلمهم اللّه وحيا يوحيه إليهم، وتارة يكلمهم من وراء حجاب، كما كلم موسى بن

---

(١) البخارى فى الشركة (٢٤٨٦) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٥٠٠/١٦٧) .

(٢) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٧٤٤)، ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤١٩/٥٣) كلاهما عن أنس.

(٣) البخارى فى فضائل الصحابة (٣٧١٩) ومسلم فى فضائل الصحابة (٢٤١٥ /٤٨) كلاهما عن جابر بن عبد اللّه.

(٤) الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩/٢٩-٣٤ وقال: «رواه الطبرانى وفيه عبد المنعم بن إدريس وهو كذاب وضاع».

عمران، وتارة يبعث ملكا فيوحى بإذنه ما يشاء.

ومن الأنبياء من يكون على شريعة غيره، كما كان أنبياء بنى إسرائيل على شريعة التوراة.

١٨/٣٦٨ وأما كونهم كلهم يأخذون من واحد فهذا يقوله ونحوه أهل/ الإلحاد من أهل الوحدة والاتحاد؛ كابن عربى صاحب «الفتوحات المكية» و«الفصوص» وأمثالهما؛ فإنه لما ذكر مذهبه الذى مضمونه أن الوجود واحد، وأن الوجود الخالق هو الوجود المخلوق وإن تعددت الأعيان الثابتة فى العدم. قال: وليس هذا العلم إلا لخاتم الرسل وخاتم الأولياء، وما يراه أحد من الأنبياء والرسل إلا من مشكاة الرسول الخاتم، وما يراه أحد من الأولياء إلا من مشكاة الولى الخاتم، حتى أن الرسل لا يرونه إذا رأوه إلا من مشكاة خاتم الأولياء، فإن الرسالة والنبوة ـ أعنى نبوة التشريع ورسالته ـ ينقطعان، وأما الولاية فلا تنقطع أبداً، فالمرسلون من كونهم أولياء لا يرونه إلا من مشكاة خاتم الأولياء.

وساق الكلام إلى أن ذكر أن خاتم الأنبياء موضع لبنة فضة، وأن خاتم الأولياء موضع لبنتين: لبنة ذهب، ولبنة فضة، فهو موضع اللبنة الفضية، وهو ظاهره وما يتبعه من الأحكام؛ لأنه يرى الأمر على ما هو عليه فلابد أن يراه هكذا، وهو موضع اللبنة الذهبية فى الباطن؛ فإنه يأخذ من المعدن الذى يأخذ منه الملك الذى يوحى به إلى الرسل.

فهذا الكلام ونحوه فيه كثير من الضلال، مثل دعواه أن جميع الأنبياء والرسل يستفيدون معرفة اللّه من خاتم الأنبياء، فإن هذا كذب.

١٨/٣٦٩ /ومن قال: إن إبراهيم الخليل، وموسى وعيسى، وغيرهم إنما استفادوا معرفة اللّه من النبى ﷺ فقد كذب، بل اللّه أوحى إليهم وعلمهم، والنبى ﷺ لم يكن موجوداً حين خُلِقُوا، والمتقدم لا يستفيد من المتأخر.

وقوله ﷺ: «كنت نبياً وآدم بين الروح والجسد»[(١)] وفى لفظ «كتبت نبياً»، كقوله ﷺ: «إنى عند اللّه لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طِينَتِه»[(٢)] فإن اللّه بعد خَلْقِ جسد آدم وقبل نفخ الروح فيه كتب وأظهر ما سيكون من ذريته، فكتب نبوة محمد وأظهرها، كما ثبت فى الصحيحين عن النبى ﷺ قال: «يجمع خلق أحدكم فى بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك، ثم يكون مضغة مثل ذلك، ثم يبعث إليه ملكا، فيُؤْمَرُ بأربع كلمات، فيقال: اكتب رزقه وأجله، وعمله، وشقى أوسعيد، ثم ينفخ فيه الروح»[(٣)]،

(١) الترمذى فى المناقب (٣٦٠٩) وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من حديث أبى هريرة لا نعرفه إلا من هذا الوجه» وأحمد ٤/٦٦، ٥/٥٩.

(٢) أحمد ٤/١٢٧ وقال الهيثمى فى المجمع (٨/٢٢٦): «رواه أحمد بأسانيد والبزار والطبرانى بنحوه».

(٣) البخارى فى بدء الخلق (٣٢٠٨) ومسلم فى القدر (١/٢٦٤٣).

فقد أخبر ﷺ أنه بعد أن يخلق بدن الجنين فى بطن أمه - وقبل نفخ الروح فيه - يكتب رزقه وأجله وعمله وشقى أم سعيد فهكذا كتب خبر سيد ولد آدم وآدم منجدل فى طينته قبل أن ينفخ الروح فيه.

وأما قول بعضهم: «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين»[1] فهذا نقل باطل نقلا وعقلا؛ فإن آدم ليس بين الماء والطين، بل الطين ماء وتراب، ولكن كان بين الروح والجسد. فهذا ونحوه فيه/ علم الله بالأشياء قبل كونها، وكتابته إياها، وإخباره بها، وذلك غير وجود ١٨/٣٧٠
أعيانها؛ لأنها لا توجد أعيانها حتى تخلق، ومن لم يفرق بين ثبوت الشىء فى العلم والكلام والكتاب، وبين حقيقته فى الخارج، وكذلك بين الوجود العلمى والعينى - عَظُمَ جهله وضلاله.

وأهل العلم قد أعظموا النكبة على من يقول: المعدوم شىء ثابت فى الخارج، وإن كان لهؤلاء شبهة عقلية لكونهم ظنوا أن تميزه فى العلم والإرادة يقتضى تمييزه فى الخارج، فإنهم أخطؤوا فى ذلك، والتحقيق الفرق بين الثبوت العلمى والعينى، وأما وجود الأشياء قبل خلقها فهذا أعظم فى الجهل والضلال.

وأما دعواه أن الأولياء كلهم - حتى الأنبياء - يستفيدون من خاتم الأولياء فهذا مخالف للعقل والشرع؛ فإن الأنبياء أفضل من الأولياء، وخيار الأولياء أَتْبَعُهُم للأنبياء، كما كان أبو بكر أفضل مَنْ طلعت عليه الشمس بعد النبيين والمرسلين.

وكذلك دعواه أن خاتم الأولياء يأخذ العلم الظاهر من حيث يأخذه النبى، ويأخذ العلم الباطن من المعدن الذى يأخذ منه الملك ما يوحيه إلى النبى؛ فهذا من أعظم الكفر والضلال، وهو مبنى على قول المتفلسفة الذين يجعلون النبوة فَيْضاً يفيض على عقل النبى، ويقولون: إن الملك/ هو ما يتمثل فى نفس النبى من الأشكال النورانية، ١٨/٣٧١
فيقولون: إن النبى يأخذ عن تلك الصور الخيالية وهى الملك عندهم، فمن أخذ المعانى العقلية عن العقل المجرد كان أعظم وأكمل ممن يأخذ عن الأمثلة الخيالية، فهؤلاء اعتقدوا أقوال هؤلاء الفلاسفة الملحدين وسلكوا مَسْلك الرياضة، فأخذوا يتكلمون بتلك الأمور الإلحادية الفلسفية، ويخرجونها فى قالب المكاشفات والمخاطبات.

وما ذكروه من خاتم الأولياء لا حقيقة له، وإن كان قد ذكره الحكيم الترمذى فى كتاب «خاتم الأولياء» فقد غلط فى ذلك الكتاب غلطاً معروفا عند أهل المعرفة والعلم والإيمان. وهذه الأمور مبسوطة فى غير هذا الموضع.

فهذه الأحاديث، وأمثالها مما هو كذب وفِرْية عند أهل العلم، لاسيما إذا كانت معلومة

(١) سبق تخريجه ص ٧٣. .

البطلان بالعقل، بل متخلية فى العقل، ليس لأحد أن يرويها ويحدث بها إلا على وجه البيان لكونها كذبا، كما ثبت فى الصحيح عن النبى ﷺ أنه قال: «من رَوَى عنى حديثاً وهو يرى أنه كذب فهو أحد الكاذبين»[1].

وعلى ولاة الأمور أن يمنعوا من التحدث بها فى كل مكان، ومن أصر على ذلك فإنه يعاقب العقوبة البليغة التى تزجره وأمثاله عن الكذب على النبى ﷺ وأصحابه وأهل بيته، وغيرهم من أهل العلم والدين، والله أعلم.

(١) مسلم فى المقدمة ص ٩ والترمذى فى العلم (٢٦٦٢) وقال: « هذا حديث حسن صحيح » وابن ماجه فى المقدمة (٣٨ ــ ٤١) وأحمد ٥/ ١٤ .

obeikandl.com

/ وَقَالَ ـ رحَمهُ اللّه : ١٨/٣٧٢

فى الصحيحين عن أبى موسى عن النبى ﷺ قال: «على كل مسلم صدقة» قيل: أرأيت إن لم يجد؟ قال: «يَعْتَمِلُ بيديه فينفع نفسه ويتصدق»، قال: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يعين ذا الحاجة الملهوف»، قال: قيل له: أرأيت إن لم يستطع؟ قال: «يأمر بالمعروف أو الخير»، قال: أرأيت إن لم يفعل؟ قال: «يمسك عن الشر فإنها صدقة»[١].

وفى الصحيحين عن أبى ذر قال: قلت: يارسول اللّه، أى الأعمال أفضل؟ قال: «الإيمان باللّه، والجهاد فى سبيله» قال: قلت: أى الرقاب أفضل؟ قال: «أنْفَسُها عند أهلها، وأكثرها ثمناً» قال: قلت: فإن لم أفعل، قال: «تعين صانعاً، أو تصنع لأخْرَق» قال: قلت: يارسول اللّه، أرأيت إن ضَعُفْتُ عن بعض العمل؟ قال: «تكف شرك عن الناس، فإنها صدقة منك على نفسك»[٢].

ففى هذا الحديث أنه أوجب الصدقة على كل مسلم، وجعلها خمس مراتب على البدل: الأولى الصدقة بماله، فإن لم يجد اكتسب المال/ فنفع وتصدق. وفيه دليل وجوب الكسب، ١٨/٣٧٣
فإن لم يستطع فيعين المحتاج ببدنه، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يفعل فيكف عن الشر. فالأوليان تقع بمال إما بموجود أو بمكسوب، والأخريان تقع بِبَدَنٍ إما بيد وإما بلسان.

وفى صحيح مسلم، عن أبى ذر، عن النبى ﷺ قال: «يصبح على كل سُلامَى من أحدكم صدقة؛ فكل تسبيحة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وأمْرٌ بالمعروف صدقة، ونَهْىٌ عن المنكر صدقة، ويجزئ من ذلك ركعتان يركعهما من الضحى»[٣]، ففى هذا الحديث أنه جعل الصدقة الكلمات الأربع. والأمر والنهى، وركعتا الضحى كافيتان.

وفيه عنه، أن ناساً من أصحاب رسول اللّه ﷺ قالوا للنبى ﷺ: يارسول اللّه ذهب أهل الدُّثُور بالأجور، يصلون كما نصلى، ويصومون كما نصوم، ويتصدقون بفضول أموالهم، قال: «أوَلَيس قد جعل اللّه لكم ما تصدقون؟ إن بكل تسبيحة صدقة، وكل تكبيرة صدقة، وكل تحميدة صدقة، وكل تهليلة صدقة، وأمر بالمعروف صدقة، ونهى عن منكر صدقة،

---

(١) البخارى فى الزكاة (١٤٤٥) وفى الأدب (٦٠٢٢)، ومسلم فى الزكاة (١٠٠٨/٥٥).
(٢) البخارى فى العتق (٢٥١٨)، ومسلم فى الإيمان (٨٤/١٣٦).
والأخرق: هو الجاهل بما يجب أن يعمله، ولم يكن فى يديه صنعة يكتسب بها. انظر: النهاية ٢/٢٦.
(٣) مسلم فى صلاة المسافرين (٧٢٠/٨٤).

وفى بُضْعِ أحدكم صدقة». قالوا: يارسول اللّه، أيأتى أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر؟
١٨/٣٧٤ قال:/ «أرأيتم لو وضعها فى حرام أكان عليه وزر؟ فكذلك إذا وضعها فى الحلال كان له أجر»[١].

قلت: يشبه ـ واللّه أعلم ـ أن يكون قوله: صدقة أى: تقوم مقام الصدقة التى للأغنياء، فيكون الحديث الثانى مفسرا للأول، بخلاف حديث أبى موسى فإنه موجب للصدقة، أو تكون صدقة نفسه على نفسه، كما فى حديث أبى ذر المتقدم تكف شرك عن الناس.

(١) مسلم فى الزكاة (١٠٠٦/٥٣).

obeikandl.com

/ وسئل شيخ الإسلام ـ رَحِمهُ اللّه ـ عن أحاديث يرويها القصاص، وغيرهم ١٨/٣٧٥
بالطرق وغيرها عن النبى ﷺ .

فأجاب عنها:

منها ما يروون أنه قال: «أدَّبنى ربى فأحسن تأديبى»[١].

فأجاب: الحمد للّه، المعنى صحيح. لكن لا يعرف له إسناد ثابت.

ومما يروونه عنه ﷺ ، أنه قال: «لو كان المؤمن فى ذِرْوَة جبل قَيَّض اللّه له من يؤذيه، أو شيطاناً يؤذيه»[٢].

فأجاب: الحمد للّه، ليس هذا معروفا من كلام النبى ﷺ .

ومما يروونه عنه ﷺ، أنه قال: «لو كانت الدنيا دما عَبِيطاً كان قوت المؤمن منها حلالا».

فأجاب: الحمد للّه، ليس هذا من كلام النبى ﷺ، ولا يعرف عنه بإسناد، ولكن المؤمن لابد أن يتيح اللّه له من الرزق ما يغنيه، ويمتنع فى الشرع أن يحرم على المؤمن مالا بد منه، فإن اللّه/ لم يوجب على المؤمنين مالا يستطيعونه، ولا حرم عليهم ما يضطرون إليه من غير ١٨/٣٧٦
معصية منهم. قاله وكتبه أحمد بن تيمية.

ومما يروونه عنه ﷺ، عن اللّه: «ما وَسِعَنِى سمائى ولا أرضى، ولكن وسعنى قلب عبدى المؤمن»[٣].

فأجاب: الحمد للّه، هذا مذكور فى الإسرائيليات، ليس له إسناد معروف عن النبى ﷺ، ومعنى: « وسعنى قلبه» الإيمان بى ومحبتى ومعرفتى، ولا من قال: إن ذات اللّه تحل فى قلوب الناس، فهذا من النصارى، خَصُّوا ذلك بالمسيح وحده.

---

(١) السخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٢٩، وقال: «سنده ضعيف جدا ولكن معناه صحيح»، والعجلونى فى كشف الخفاء ١/ ٧٠.

(٢) السخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٣٤٨ وقال: «رواه ابن عدى والقضاعى من حديث عيسى بن عبد الله بن محمد بن على بن أبى طالب وهو متروك الحديث يروى الموضوعات عن أبيه عن جده عن على به مرفوعا»، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ١٦٢.

(٣) سبق تخريجه ص ٧١ .

ومما يروونه عنه أيضا : «القلب بيت الرب»[1].

فأجاب: الحمد للّه، هذا كلام من جنس الأول، فإن القلب بيت الإيمان باللّه ومعرفته ومحبته، وليس هذا من كلام النبى ﷺ .

ومما يروونه عنه أيضاً: «كنت كنزاً لا أعرف، فأحببت أن أعرف، فخلقت خلقاً فعرفتهم بى فعرفونى»[2].

فأجاب: ليس هذا من كلام اللّه للنبى ﷺ، ولا يعرف له إسناد صحيح ولا ضعيف.

ومما يروونه عنه ﷺ : أن عمر بن الخطاب ـ رضى اللّه عنه ـ قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا تكلم مع أبى بكر كنت كالزنجى بينهما[3] الذى لا يفهم.

فأجاب: الحمد للّه، هذا كذب ظاهر لم ينقله أحد من أهل العلم بالحديث، ولم يروه إلا جاهل أو ملحد.

ومما يروونه عن النبى ﷺ، أنه قال: «أنا مدينة العلم وعَلى بابها»[4].

١٨/٣٧٧ / **فأجاب**: هذا حديث ضعيف، بل موضوع عند أهل المعرفة بالحديث، لكن قد رواه الترمذى وغيره، ومع هذا فهو كذب.

ومما يروون عن النبى ﷺ : «أن اللّه يعتذر للفقراء يوم القيامة ويقول: وعزتى وجلالى ما زَوَيْتُ الدنيا عنكم لهوانكم علىَّ، لكن أردت أن أرفع قدركم فى هذا اليوم، انطلقوا إلى الموقف فمن أحسن إليكم بِكِسْرة، أو سقاكم شربة من الماء، أو كساكم خرقة انطلقوا به إلى الجنة».

فأجاب: الحمد للّه، هذا الشأن كذب، لم يروه أحد من أهل العلم بالحديث، وهو باطل مخالف للكتاب والسنة بالإجماع.

ومما يروون عنه ﷺ : أنه لما قدم المدينة فى الهجرة خرجت بنات النجار بالدفوف وهن يقلن:

طلع البـدر علينا مـن ثنيات الـوداع

إلى آخر الشعر، قال رسول اللّه ﷺ : «هزوا كرابيلكم بارك اللّه فيكم» .

---

(١) تنزيه الشريعة ١/١٤٨، والسخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٣٠٨، وقال: «ليس له أصل فى المرفوع»، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/٩٩ وقال: «قال الزركشى والسخاوى والسيوطى: لا أصل له».

(٢) تنزيه الشريعة ١/١٤٨، والسخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٣٢٧ وقال: «قال ابن تيمية: إنه ليس من كلام النبى ﷺ، ولا يعرف له سند صحيح ولا ضعيف وتبعه الزركشى وشيخنا»، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/١٣٢ وقال: «هو واقع كثيراً فى كلام الصوفية واعتمدوه وبنوا عليه أصولاً لهم».

(٣) الأسرار المرفوعة (٤٥٤) وقال: «مما وضعه جهلة المنتسبين إلى السنة فى فضل الصديق».

(٤) الترمذى فى المناقب (٣٧٢٣) وقال: «حديث غريب منكر».

فأجاب: أما ضرب النسوة الدف فى الزواج فقد كان معروفا على عهد/ رسول الله ﷺ، ١٨/٣٧٨
وأما قوله: «هزوا كرابيلكم بارك الله فيكم» فهذا لا يعرف عنه ﷺ.

ومما يروون عنه، أنه قال: «لو وُزِنَ إيمان أبى بكر بإيمان الناس لرجح إيمان أبى بكر على ذلك »[١].

فأجاب: الحمد لله، هذا جاء معناه فى حديث معروف فى السنن أن أبا بكر ـ رضى الله عنه ـ وزن هذه الأمة فرجح[٢].

ومما يروون عنه ﷺ، أنه قال: «اللهم إنك أخرجتنى من أحب البقاع إلى فأسكنى فى أحب البقاع إليك»[٣].

فأجاب : الحمد لله، هذا باطل، بل ثبت فى الترمذى، وغيره أنه قال لمكة: «والله إنك لأحب بلاد الله إلى الله»، وقال: «إنك لأحب البلاد إلىَّ»[٤]، فأخبر أنها أحب البلاد إلى الله وإليه.

ومما يروون عنه ﷺ : «من زارنى، وزار أبى إبراهيم فى عام واحد دخل الجنة»[٥].

فأجاب: الحمد لله، هذا حديث كذب موضوع، ولم يروه أحد من أهل العلم بالحديث.

ومما يروون عنه ﷺ: «فقراؤكم».

فأجاب: الحمد لله، هذا اللفظ ليس مأثوراً، لكن معناه صحيح، وأن الفقراء موضع الإحسان إليهم، فبهم تحصل الحسنات.

ومما يروون عنه ﷺ: «البركة مع أكابركم» [٦].

/ **فأجاب** : الحمد لله، قد ثبت فى الصحيح من حديث جُبَيْر ، أنه قال: «كَبِّرْ، كَبِّرْ»[٧] ١٨/٣٧٩
أى: يتكلم الأكبر. وثبت من حديث الإمامة، أنه قال: «فإن استووا ـ أى فى القراءة والسنة

---

(١) البيهقى فى شعب الايمان (٣٦)، والسيوطى فى الدر المنثور ٤/ ١٢ وعزاه إلى الحكيم الترمذى، والسخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٣٤٩ وقال: «رواه البيهقى فى الشعب بسند صحيح عن عمر».
ورواه ابن عدى فى الكامل فى الضعفاء ٥/ ٢٦٠ بلفظ: «لو وضع إيمان. .» عن ابن عمر مرفوعا، وفى سنده عيسى بن عبد الله ضعيف، وكشف الخفاء ٢/ ١٦٥.

(٢) أبو داود فى السنة (٤٦٣٤)، والترمذى فى الرؤيا (٢٢٨٧) وقال: «حسن صحيح»، وأحمد ٥/ ٤٤، ٥٠.

(٣-٥) سبق تخريجها ص ٧٣ .

(٦) ابن حبان فى صحيحه (٥٦٠) وفى موارد الظمآن (١٩١٢)، والحاكم فى المستدرك ١/ ٦٢ وقال: «هذا حديث صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه»، والخطيب فى تاريخ بغداد ١١/ ١٦٥ كلهم عن عبد الله بن عباس.

(٧) البخارى فى الوضوء (٢٤٦)، ومسلم فى الرؤيا (١٩/٢٢٧١) كلاهما عن ابن عمر.

والهجرة ـ فليؤمهم أكبرهم سناً»[1].

ومما يروون ـ أيضاً ـ : «الشيخ فى قومه كالنبى فى أمته»[2].

فأجاب: الحمد للّه، ليس هذا من كلام النبى ﷺ وإنما يقوله بعض الناس.

ومما يروون ـ أيضاً ـ: «لو وزن خوف المؤمن ورجاؤه لاعتدلا»[3].

فأجاب: الحمد للّه، هذا مأثور عن بعض السلف، وهو كلام صحيح.

ومما رووا عن على ـ رضى اللّه عنه ـ أن أعرابياً صلى ونَقَرَ صلاته، فقال له على: لا تنقر صلاتك، فقال له الأعرابى : لو نقرها أبوك ما دخل النار.

/ **فأجاب**: الحمد للّه، هذا كذب، ورووه عن عمر، وهو كذب. ١٨/٣٨٠

ومما يروون عن عمر رضى اللّه عنه، أنه قتل أباه.

فأجاب: هذا كذب؛ فإن أبا عمر ـ رضى اللّه عنه ـ مات فى الجاهلية قبل أن يبعث الرسول ﷺ.

ومما يروون عنه ﷺ : «كنت نبياً وآدم بين الماء والطين، وكنت نبياً وآدم لا ماء ولا طين»[4].

فأجاب: الحمد للّه، هذا اللفظ كذب باطل، ولكن اللفظ المأثور الذى رواه الترمذى وغيره أنه قيل: يارسول اللّه، متى كنت نبياً؟ قال: «وآدم بين الروح والجسد»[5]، وفى السنن عن العِرْباض بن سارية، أنه قال: «إنى عند اللّه لمكتوب خاتم النبيين، وإن آدم لمُنْجَدِل فى طينته»[6].

ومما يروون ـ أيضاً ـ: «العازب فراشه من النار، ومسكين رجل بلا امرأة، ومسكينة امرأة بلا رجل ».

فأجاب: الحمد للّه، هذا ليس من كلام النبى ﷺ، ولم أجده مرويا، ولم يثبت.

ومما يروون أن إبراهيم ـ عليه السلام ـ لما بنى البيت صلى فى كل ركن ألف ركعة، فأوحى اللّه تعالى إليه: يا إبراهيم، أفضل من هذا سد جوعة، أو ستر عورة.

---

(١) البخارى فى الأذان (٦٢٨، ٦٣١) ، والترمذى فى الصلاة (٢٠٥)، والنسائى فى الأذان (٦٣٤، ٦٣٥)، وابن ماجه فى إقامة الصلاة (٩٧٩) وأحمد ٥/ ٣٥ كلهم عن مالك بن الحويرث.

(٢) ابن حبان فى المجروحين ٢/ ٣٩ عن ابن عمر مرفوعا، والديلمى فى الفردوس (٣٦٦٦) عن ابن عباس، وقال السخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٢٥٧ : «هذا موضوع، ولعل البلاء فيه من غير الإفريقى فهو جليل القدر ثقة لاريب فيه، وممن جزم بكونه موضوعا شيخنا الحافظ ابن حجر»، ورواه السيوطى فى الجامع الصغير (٤٩٦٩، ٤٩٧٠) ورمز له بالضعف، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ١٧.

(٣) تنزيه الشريعة ٢/ ٤٠٢ . ونقل عن ابن تيمية أنه موضوع.

(٤) سبق تخريجه ص ٧٣ . (٥، ٦) سبق تخريجهما ص ٢١٠ .

فأجاب: الحمد للّه، هذا كذب ظاهر، ليس هو فى شىء من كتب المسلمين.

ومما يروون عنه ﷺ ، أنه قال: «إذا ذُكِر إبراهيم وذكرت أنا فصلوا عليه، ثم صلوا على، وإذا ذكرت أنا والأنبياء غيره فصلوا على ثم صلوا عليهم » [(١)].

فأجاب: الحمد للّه، هذا لا يعرف من كتب أهل العلم ولا عن أحد من العلماء المعروفين بالحديث.

/ ومما يروون عنه ﷺ : «من أكل مع مغفور له غُفِرَ له». ١٨/٣٨١

فأجاب : الحمد للّه، هذا ليس له إسناد عن أهل العلم، ولا هو فى شىء من كتب المسلمين، وإنما يروونه عن سالم، وليس معناه صحيحاً على الإطلاق، فقد يأكل مع المسلمين الكفار والمنافقون.

ومما يروون ـ أيضاً ـ : «من أشبع جوعة، أو ستر عورة ضمنت له الجنة » [(٢)].

فأجاب: الحمد للّه، هذا اللفظ لا يعرف عن النبى ﷺ .

ومما يروون : «لا تكرهوا الفتن، فإن فيها حصاد المنافقين» [(٣)].

فأجاب: الحمد للّه، هذا ليس معروفاً عن النبى ﷺ . ومما يروون : «سَبُّ أصحابى ذنب لا يغفر » [(٤)].

فأجاب ـ رحمه اللّه ـ : هذا كذب على النبى ﷺ ، وقد قال تعالى : ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَن يَشَاءُ**﴾ [النساء: ٤٨].

ومما يروون: «من علم أخاه آية من كتاب اللّه فقد ملك رِقَّهُ» .

فأجاب: الحمد للّه، هذا كذب ليس فى شىء من كتب أهل العلم.

ومما يروون عنه : «آية من القرآن خير من محمد وآله» .

/ **فأجاب** : الحمد للّه، القرآن كلام اللّه منزل غير مخلوق، فلا يشبه بالمخلوقين، واللفظ المذكور غير مأثور. ١٨/٣٨٢

ومما يروون عن النبى ﷺ : «أنا من العرب، وليس العرب منى».

---

(١) تنزيه الشريعة ١/ ٣٤١ وقال: «قال ابن تيمية: موضوع»، والشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٢٩ وقال: «لا أدرى كيف إسناده ولا من رواه».

(٢) تنزيه الشريعة ٢/ ١٤٤ وقال: «قال ابن تيمية: موضوع» والشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٨٢، وذكر قول ابن تيمية.

(٣) سبق تخريجه ص ٧٤ .

(٤) تنزيه الشريعة ١/ ٣٢٠ وقال: «قال ابن تيمية: موضوع»، والشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٣٨٦، وذكر قول ابن تيمية. والعجلونى فى كشف الخفاء ١/ ٤٤٤ وذكر أيضا قول ابن تيمية.

فأجاب: الحمد للّه، هذا ليس من كلام النبى ﷺ .

ومما يروون عنه ـ أيضاً ـ: «اللهم أحينى مسكيناً، وأمتنى مسكيناً، واحشرنى فى زمرة المساكين»[1].

فأجاب: هذا يروى، لكنه ضعيف لا يثبت، ومعناه أحينى خاشعا متواضعاً، لكن اللفظ لم يثبت.

ومما يروون عنه ﷺ ، أنه قال: «إذا سمعتم عنى حديثاً فاعرضوه على الكتاب والسنة، فإن وافق فَارْوُوه، وإن لم يوافق فلا »[2].

فأجاب: الحمد للّه، هذا مروى ولكنه ضعيف عن غير واحد من الأئمة؛ كالشافعى ، وغيره.

ومما يروون عنه ﷺ ، أنه قال: «ياعلى ، اتخذ لك نعلين من حديد وافْنِهِمَا فى طلب العلم ولو بالصين»[3].

فأجاب: الحمد للّه، ليس هذا ولا هذا من كلام النبى ﷺ .

١٨/٣٨٣ /ومما يروون عنه ﷺ، أنه قال: «يقول اللّه تعالى: لاقُونى بِنَيَّاتكم ولا تلاقونى بأعمالكم»[4].

فأجاب : الحمد للّه، ليس هذا اللفظ معروفا عن النبى ﷺ.

ومما يروون عن النبى ﷺ : «من قدم إبريقاً لمتوضئ فكأنما قدم جَوَاداً مسرجا مَلْجُوما يقاتل عليه فى سبيل اللّه»[5].

فأجاب: هذا ليس من كلام النبى ﷺ ، ولا يعرف فى شىء من كتب المسلمين المعروفة.

ومما يروون عنه ﷺ : «يأتى على أمتى زمان ما يسلم بدينه إلا من يفر من شاهق إلى شاهق»[6].

---

(١) الترمذى فى الزهد (٢٣٥٢) وقال : « حديث غريب » وابن ماجه فى الزهد (٤١٢٦) .

(٢) السخاوى فى المقاصد الحسنة ص ٣٦ وعزاه إلى الدارقطنى فى الأفراد والعقيلى فى الضعفاء، والحديث منكر جداً استنكره العقيلى وقال: «إنه ليس له إسناد يصح»، والعجلونى فى كشف الخفاء ١/ ٨٦ وقال: «هو موضوع».

(٣) تنزيه الشريعة ١/ ٢٨٤ وقال: «قال ابن تيمية موضوع»، والشركانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٢٨٥، وذكر قول ابن تيمية، والعجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ٣٨٣ وذكر أيضا قول ابن تيمية.

(٤) الشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٢٥٠ وقال: «قال ابن تيمية: موضوع»، وأحاديث القصاص ٥٣ كما فى الأطراف.

(٥) العجلونى فى كشف الخفاء ٢/ ٢٧٠ وقال: «قال ابن تيمية: موضوع، وفى الذيل هو كما قال»، وأحاديث القصاص ٥٥ كما فى الأطراف.

(٦) لم أقف عليه .

فأجاب: الحمد للّه، هذا اللفظ ليس معروفا عن النبى ﷺ.

ومما يروون عنه ﷺ، أنه قال: «حسنات الأبرار سيئات المقربين»[1].

فأجاب: الحمد للّه، هذا كلام بعض الناس، وليس هو من كلام النبى ﷺ.

ومما يروون عنه ﷺ ، أنه قال: «ستروا من أصحابى هدنة: القاتل والمقتول فى الجنة».

/ **فأجاب**: الحمد للّه، هذا اللفظ لا يعرف عن النبى ﷺ. ١٨/٣٨٤

ومما يروون عنه: «إذا وصلتم إلى ما شَجَرَ بين أصحابى فأمسكوا، وإذا وصلتم إلى القضاء والقدر فأمسكوا»[2].

فأجاب: الحمد للّه، هذا مأثور بإسناد منقطع، وماله إسناد ثابت.

ومما يروون عنه ﷺ : «إذا كثرت الفتن فعليكم بأطراف اليمن»[3].

فأجاب: الحمد للّه، هذا اللفظ لا يعرف.

ومما يروون عنه ﷺ، أنه قال: «من بات فى حراسة كلب بات فى غضب الرب»[4].

فأجاب: الحمد للّه، هذا ليس من كلام النبى ﷺ.

ومما يروون عنه ﷺ : «أنه أمر النساء بالغُنْجِ[5] لأزواجهن عند الجماع».

فأجاب: ليس هذا عنه ﷺ.

ومما يروون عنه ﷺ أنه قال: «من كسر قلباً فعليه جَبْرُه»[6].

فأجاب: الحمد للّه، هذا أدب من الآداب، وهذا اللفظ ليس معروفا عن النبى ﷺ، وكثير من الكلام يكون صحيحاً،/ لكن يمكن أن يقال عن الرسول ﷺ مالم يقدح، إذ هذا ١٨/٣٨٥
اللفظ ليس بمطلق فى كسر قلوب الكفار والمنافقين؛ إذ به إقامة الملة.

واللّه أعلم، وصلى اللّه على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليما كثيراً إلى يوم الدين، وعلى آله وأصحابه وأزواجه والتابعين.

آخر المجلد الثامن عشر

---

(١) السخاوى فى المقاصد الحسنة ص ١٨٨ وقال: «هو من كلام أبى سعيد الخراز رواه ابن عساكر فى ترجمته»، والعجلونى فى كشف الخفاء ١/ ٣٥٧، والشوكانى فى الفوائد المجموعة فى الأحاديث الموضوعة ص ٢٥٠.

(٢) لم أقف عليه .

(٣) تنزيه الشريعة ٢/ ٣٥١ وقال: «قال ابن تيمية موضوع».

(٤) تنزيه الشريعة ٢/ ٤٠٢، وذكر قول ابن تيمية بأنه موضوع.

(٥) الغنجُ: التكسر والتدلل عند المرأة. انظر : النهاية فى غريب الحديث ٣/ ٣٨٩.

(٦) تنزيه الشريعة ٢/ ٤٠٢، وذكر قول ابن تيمية بأنه موضوع.

obeikandl.com